بلاد الشام من خلال كتابات الرحالة الألماني
بوركهارد من جبل صهيون
[تـ : حوالي سنة ١٢٨٣ م]

☜ إعـــداد

د. عز العرب أحمد سليمان

مدرس تاريخ العصور الوسطي

كلية الآداب ـ جامعة أسيوط

مقدمة:

اهتم الرحالة الغربيون بزيارة الأراضي المقدسة منذ أقدم العصور وحتى الوقت الراهن، وذلك لأهميتها الدينية في المقام الأول، ثم لأهميتها الاقتصادية بعد ذلك، فهذه البلاد في نظرهم هي مهبط الوحي ومركز الإيمان، وأرضها شرفت بزيارة معظم الأنبياء والرسل، كما حظيت بوجود المزارات المقدسة بها، الأمر الذي جعل الكثير من الحجاج المسيحيين والرحالة يتحملون المخاطر والمشاق في سبيل زيارتها.

ويتناول هذا البحث بالدراسة، بلاد الشام من خلال كتابات الرحالة الألماني بوركهارد من جبل صهيون. وتتمثل أهمية الموضوع في ثراء رحلة ذلك الرحالة بالعديد من الإشارات الدينية والسياسية والاقتصادية، علي نحو ضمن لها ميزة التميز بين رحلات الرحالة الأوربيين الذين قدموا إلي بلاد الشام عصر الحروب الصليبية.

كانت هناك عدة صعوبات تواجه الباحث في مثل هذا الموضوع منها، ثراء تلك الرحلة كما أشرت، لذلك كان علينا عدم الاعتماد عليها وحدها، بل لا بد من الاتجاه إلي نصوص الرحلات الأخرى للرحالة الغربيين الذين عاصروا مرحلة الحروب الصليبية.

وسوف نتجه في هذا البحث إلي دراسة عدة عناصر، تتمثل في صور التعريف بالرحالة بوركهارد من جبل صهيون، ومدن الساحل الشامي من خلال رحلته، ثم المناطق الداخلية التي تناولها، والأماكن والمزارات المقدسة في فلسطين، والإشارات الاقتصادية في الرحلة، ثم صورة المسلمين في بلاد الشام من خلاله، والخريطة المذهبية لبلاد الشام، والنقد الذاتي للصليبيين من خلال كتاباته، ثم خاتمة بأهم ما توصلنا إليه من نتائج أثناء العرض.

والواقع أنه من الضرورة بمكان أن نتناول حظ الموضوع من الدراسات السابقة، وفي هذا المجال أود أن انوه إلي أنه لا توجد دراسة متخصصة عنه، سوي تلك الذي أعدها المؤرخ آرييه جرابوا Aryeh Grabois أستاذ تاريخ العصور الوسطي بجامعة حيفا، وهي بعنوان " الحجاج المسيحيون في القرن الثالث عشر ومملكة بيت المقدس اللاتينية: من خلال الرحالة بوركهارد ". "Christian Pilgrims in the Thirteenth Century and the Latin Kingdom of Jerusalem: Burchard of Mount Sion" كما أن المؤرخ الفلسطيني سعيد عبد الله البيشاوي قام بترجمة رحلة بوركهارد في الأرض المقدسة إلي اللغة العربية، وزود ترجمته بالعديد من التعليقات البناءة، بحكم أنه أحد أبناء هذه الأرض المقدسة، وقد اعتمدت علي هذه الترجمة في هذه الدراسة، وذلك لما حوته من تعليقات قيمة أثرت البحث كثيراً . والله ولي التوفيق،

الباحث،

تعريف بالرحالة الألماني بوركهارد:

كان بوركهارد [١] Burchard المنسوب إلي دير جبل صهيون[٢] Mount Sion ، أحد رهبان طائفة الدومينيكان،[٣] من أصل ألماني جاء من مدينة ستراسبورج الألمانية Starsbourg أو من مدينة ماجديبورج Magdebourg [٤] ولا توجد في متناول أيدينا أية معلومات تتعلق بأسرته، أو بنشأته المبكرة أو حياته الفكرية أو الأدبية، كذلك لا توجد لدينا أية معلومات عن حياته العملية سواء قبل حجه إلي الأراضي المقدسة في فلسطين ، أو بعد عودته منها إلي أوروبا، حتى إن تاريخ وفاته غير مؤكد، علي الرغم من صياغة فروض حول ذلك، وإن معرفتنا به تقتصر علي بعض الملاحظات الخاصة بسيرته الذاتية، والتي تبدو في نسخ مختلفة من كتابه: " وصف الأرض المقدسة ". عاش بوركهارد في القرن الثالث عشر الميلادي، ومن خلال الأحداث التي وردت في رحلته ، يرجح من خلال الأحداث التي وردت بالرحلة أنه قام بزيارة الأراضي المقدسة، أثناء فترة حكم السلطان المملوكي المنصور قلاوون (١٢٧٩ــ١٢٩٠م)، وهذا يجعلنا نفترض أن أول مسودة لهذه الرحلة كتبت في الفترة ما بين سنة ١٢٨٠ و١٢٨٣م، [٥] وأن وفاته قد حدثت في سنة١٢٨٣م تقريباً، حيث إن إشارات رحلته تفيد أنه كان حياً قبيل هذا التاريخ. [٦]

من الواضح أن بوركهارد زار معظم بلاد الشام، بما فيها المناطق التي لازالت خاضعة لحكم الصليبيين آنذاك، وأيضا الأجزاء الرئيسية من أراضيها السابقة، والتي خضعت لسيطرة المماليك، كما زار مناطق أخري هامة مثل مصر

ومملكة قيليقية،[٧] (أرمينيا الحالية) وقد أعد بوركهارد نفسه جيداً لرحلة حجه إلي الأرض المقدسة،

وذلك بتزويد نفسه بقراءة العهدين القديم والجديد، وإلي جانب ذلك فقد عرف عنه إلمامه بكثير من الأحداث التاريخية السابقة لعهده، وربما يرجع ذلك لسعة إطلاعه وقراءته لكثير من الكتب التاريخية أيضا مثل: كتاب تاريخ الكنيسة الذي كتبه الأب يوسابيوس القيصري، وكتابات القديس جيروم، والمؤرخ اليهودي يوسيفوس، فضلاً عن قراءته لقصائد الشاعر الروماني هوراس، فتلك كانت مراجعه الرئيسية التي ظهرت في كتابة رحلته، كما كان مطلعاً أيضا علي ما كتبه معاصروه، ولم يغفل كتابات الرحالة السابقين له في الأراضي المقدسة، فقد قرأ رحلاتهم بكل تفحص وتدقيق قبل أن يستشهد بما كتبوه في رحلته، وعلي سبيل المثال اعتمد علي كتاب تاريخ الشرق للمؤرخ جاك دي فتري Jacques de Vitry،[٨] فقد استمد منه الكثير من المعلومات. ويبدو من خلال ما كتبه بوركهارد في رحلته أنه أخضع مصادره للنقد، وعلق عليها في أكثر من موضع بالرحلة.[٩] ولعل ذلك ما جعل كتابه عن وصف الأرض المقدسة عملاً متميزاً، عما سبقه من الرحالة الغربيين الذين كتبوا عن نفس الموضوع.[١٠]

كما نلحظ من خلال كتاباته أنه تميز بقوة الملاحظة وسعة الاضطلاع، وأظهر ذكاءًا حاداً في معرفة كل ما يستطيع الحصول عليه من معلومات خلال تجواله في بلاد الشام، كما أنه كان ذا قدرة علي استيعاب المعلومات التي حصل عليها، وجودة العرض الجغرافي لكافة مظاهر الحياة التي شاهدها في الأراضي المقدسة بفلسطين، وقد انعكس

ذلك علي رحلته التي اتسمت بالثراء والإسهاب، وقد احتلت مكانتها الجديرة بها بين المؤلفات الجغرافية الأوربية التي وصلت إلينا.(١١)

كما تميز بوركهارد بالاتجاه النقدي في كتابة ملاحظاته أثناء تدوينه الرحلة، والتي تتعلق ببعض أماكن القديسين الأوائل في فلسطين، وإن أحداً لم يحاول التشكيك في تقواه ، وإيمانه الراسخ فيما سجله من آراء حول الأماكن الأصلية، المرتبطة بحياة السيد المسيح التي زارها في سراديب الكنائس قائلا:" أن السبب الوحيد الذي يمكن تفسيره لذلك، كان نتيجة للتدمير المتكرر الذي أصابها ".(١٢) ولا شك أن ذلك يدعم التصور بنزعته العقلانية، وهي خاصية لم تتوافر لرحالة أوربيين سابقين له.

وقد أُعتبرت رحلة بوركهارد إلي الأراضي المقدسة، من أفضل رحلات الوصف التي قام بها حاج من حجاج بيت المقدس في القرن الثالث عشر الميلادي من قبل المتخصصين، وأصبحت رحلته تعد واحدة من أعظم رحلات الوصف في أواخر العصر الوسيط.(١٣) بالرغم من تأثر بوركهارد في الخلط بين الحكايات الخرافية والحقيقية، لكنها سمة الكتابة في العصور الوسطي، فقد لاحظنا وجود بعض هذه القصص والحكايات الخرافية في رحلته، إلا أن مثل هذه الأشياء لا تنقص من أهمية وقدر هذه الرحلة. (١٤)

ليس من شك أن الفترة الطويلة التي قضاها بوركهارد في الأراضي المقدسة والتي تخطت العشر سنوات (١٢٧٠ - ١٢٨٠م)، أي في الوقت الذي كانت فيه دولة المماليك في مصر تبسط نفوذها على معظم بلاد الشام، وكانت تعيش أوج قوتها وعظمتها، فقد حققت جيوشها العديد من الانتصارات، وكانت لها أياد بيضاء في تسديد الضربات القوية للصليبيين ببلاد الشام، الأمر الذي أفقدهم توازنهم بالمنطقة.(١٥)

وبصفة عامة يمكن القول أن بوركهارد وضع لنا سفراً مهماً وشاملاً عن أحوال بلاد الشام والأراضي المقدسة خلال تلك الفترة، وأعطانا وصفاً بارعاً ودقيقاً، للأماكن والمقدسات الدينية في فلسطين وغيرها من البقاع الشامية.(١٦)

الساحل الشامي في رحلة بوركهارد:

ليس من شك أن الإقامة الطويلة للرحالة بوركهارد في الأراضي المقدسة، أمدته بخبرة بالساحل الشامي والأراضي المقدسة، مكنته من معالجة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ببلاد الشام، أما تلك التي لم يتسن له رؤيتها، فقد قام بالاستفسار عنها لدي الذين شاهدوها من أصحاب الخبرة في ذلك.(١٧)

والملاحظ أن هذه الرحلة تمتاز بالثراء الجغرافي، فقد اهتمت بوصف العديد من المدن والقرى والأنهار والبحار والبحيرات والوديان والتلال والجبال، وأيضا تضمنت وصفه للعديد من الأديرة والكنائس والقلاع والحصون الحربية، وذلك بصورة تجعله يتفوق على عدد من الرحالة

الأوربيين الذين قدموا وكتبوا عن بلاد الشام في القرن الثاني عشر.[١٨] والذين جعلوا كل اهتمامهم ، لزيارة ووصف الأضرحة والأماكن المقدسة المرتبطة بما ورد بالكتاب المقدس، غير معنيين بواقع مملكة بيت المقدس الصليبية، سواء السياسي أو الاقتصادي، وأحيانا يصل بهم الأمر للقدوم إلي أماكن ، ربما لا يكون لها أي أساس واقعي أو تاريخي، وذلك لارتباطها بالخرافة.[١٩] وسوف أقصر حديثي هنا علي ذكر بعض أهم المدن الشامية والأراضي المقدسة التي وردت بالرحلة.

من المعروف أن لفظ سوريا أطلقه المؤرخون، والرحالة الغربيون علي بلاد الشام، لكن بوركهارد قرر في كتابه أن معظم الأرض الواقعة بين نهر دجلة ومصر تدعي سوريا الكبرى، ثم قسم هذه المنطقة لعدة سوريات دعاها بأسماء مختلفة.[٢٠] كما قسم الأراضي المقدسة في فلسطين، إلي ثلاثة أقسام حمل كل قسم منها اسم فلسطين، معتبراً أن أقسامها الثلاثة جزءًا من سوريا الكبرى.[٢١] ويلاحظ أن معلومات بوركهارد عن تقسيمات فلسطين الإدارية تبدو غير دقيقة، فقد جعل بيت المقدس عاصمة لفلسطين الأولي، وهذا خطأ من الناحية التاريخية لأن مدينة قيسارية البحرية[٢٢] هي عاصمة فلسطين الأولي.[٢٣]فضلاً عن ذلك فإن بوركهارد جعل مدينة قيسارية البحرية عاصمة لفلسطين الثانية، وهذا خطأ أيضا والصحيح أن مدينة بيسان [٢٤] هي العاصمة لفلسطين الثانية.[٢٥]كما أن بوركهارد لم يوفق عندما جعل بيسان عاصمة لفلسطين الثالثة، والصواب أن مدينة البتراء كانت هي العاصمة الرئيسية لفلسطين

الثالثة.[٢٦] ويبدو أن أخطاءه هذه كانت بسبب اعتماده علي مصادر غير دقيقة في هذه النقطة. [٢٧]

تناول الرحالة الألماني بوركهارد بوصف دقيق العديد من مدن الساحل الشامي، والأراضي المقدسة، وسوف يقتصر حديثي علي عرض لأهم المدن التي تناولها من خلال رحلته، ونبدأها بعرضه لمدينة عكا Acre [٢٨] والتي جعلها مركزاً لتقسيماته لبلاد الشام والأراضي المقدسة، باعتبارها أكثر شهرة من غيرها، وبدأ منها وصف المدن الشامية،[٢٩] فقد أشار عنها في وصفه بأنها مدينة حُصنت بالأسوار والتحصينات الخارجية، وكذلك الأبراج والخنادق وحصون أمامية ذات قوة عظيمة، وكانت المدينة مثلثة الشكل ، بحيث يواجه الجانبان منها البحر المتوسط، أما الجانب الثالث يواجه السهل المحيط بها، وهو سهل خصيب جدا، كان مزروعاً في أيام بوركهارد بالحدائق وأنواع مختلفة من أشجار الفواكه، فضلاً عن ما كان بهذه المدينة من الأماكن الحصينة، والمتمثلة في القلاع والحصون التابعة لجماعات الدينية المعروفة بفرسان الداوية Templars ،[٣٠] والإسبتارية Knights of the Hospital [٣١] وجماعة التيوتون Teutonic Order، [٣٢] وتتبع هذه المدينة ممتلكات ملك بيت المقدس،[٣٣] ولاحظ بوركهارد أن ميناء عكا كان يقع إلي الجنوب منها، وقد رأي السفن الراسية فيه.[٣٤] ومما ذكر عن عكا أنها من أجمل مدن الساحل الشامي بعمرانها، عامرة بصناعاتها ، وعرف ميناؤها بأنه كان صالحاً لرسو السفن طوال العام. [٣٥]

أما إشاراته عن مدينة صور Tyre؛ فقد ذكر أنها تقع علي ساحل البحر،وأُعيد بناؤها علي يد الفينيقيين، وحرص بوركهارد علي تأصيل إشاراته من خلال ما ورد بشأنها في الكتاب المقدس، ولاسيما العهد القديم،(٣٦) وقرر أن المدينة كانت ذات شكل دائري، تنتصب في البحر فوق صخرة قوية، مسورة من جميع الجوانب القريبة من البحر، باستثناء الجهة الشرقية لها.(٣٧) كما أشار إلي أهمية مدينة صور الدينية من خلال أنها كانت بمثابة العاصمة الدينية لولاية فينيقيا، ومقر إقامة رئيس الأساقفة، ويذكر بوركهارد أنه مكث فيها عشرة أيام، مكنته من دراستها ووصف أسوارها وقلاعها، وما بداخلها من تحصينات(٣٨) ، وقد أكد الكثير من الجغرافيين والرحالة، مثل المقدسي والاصطخري وابن جبير، وياقوت الحموي وغيرهم، ومن الرحالة الغربيين مثل بنيامين التطيلي(٣٩) وثيودريش(٤٠)،ويوحنا الورزبورجي،(٤١) وما كتبة جاك دي فتري ووليم الصوري(٤٢)علي صحة الوصف الذي أمدنا به بوركهارد عن بيت المقدس.

كما تحدث بوركهارد عن الثروة المائية الوفيرة، والتي تميزت بها المدن والقري الشامية وخاصة في مدينة صور، فحدثنا عن تدفق مياه الأنهار والينابيع المتجهة إليها، ومن أشهر ينابيعها نبع رأس العين،(٤٣) والذي كان يروي آنذاك الأراضي السهلية بالمدينة، حيث الحدائق والبساتين وكروم العنب، وقصب السكر الذي كان يزرع بكميات وفيرة، وقد حصل حاكم صور من ذلك علي عائدات كبيرة.(٤٤) كما اشتهرت مدينة صور في وصف بوركهارد بوجود جداول للمياه الجارية، والتي سُحبت إلي داخل

المدينة، ليستخدمها الأهالي في المنازل، وذلك عن طريق أنابيب ذات أشكال هرمية،(٤٥) وذكر أنه رأي آثارها بنفسه.(٤٦)

وعلي الرغم من أن بوركهارد قد أصاب فيما وصف به مدينة صور، إلا أنه أغفل جوانب أخري تعطي لهذه المدينة تميزاً كبيراً من حيث مكانتها التجارية، كأحد أهم مراكز تصدير السلع للغرب الأوربي،(٤٧) خلال فترة الحروب الصليبية ، كما لم يشير أيضا إلي تجارة الترانزيت المارة بمدن الشام.(٤٨)

وفي حديثه عن مدينة صيدا، فقد ذكر أنها تقع علي بعد أربعة فراسخ(٤٩) (١٧٦و٢٢كم) من صرفند الصيداوية،(٥٠) وهي أعظم مدينة في ولاية فينيقيا(٥١) حجماً واتساعاً، حيث تمتد من الشمال للجنوب عند سفح جبل لبنان الغربي، الواقع بين المدينة والبحر،(٥٢) وذكرها بوركهارد بأنها مدينة محصنة، وفائقة الجمال، استخدمت كموقع عسكري، لأنها تشرف علي البحر، ولها قلعتان مسورتان علي جانبي المدينة، وقد امتلك جماعة فرسان الداوية هذه المدينة وقلاعها . أما الأرضي المجاورة لمدينة صيدا فقد تميزت بالخصوبة، وكانت تذخر بالمحاصيل الوافرة، حيث زرع فيها قصب السكر الجيد وأشجار الكرمة، هذا إلي جانب مناخها الصحي الذي تميزت به. (٥٣)

وعند تناوله مدينة بيروت الشهيرة والعريقة، تحدث عن أهميتها الدينية، فذكر أنها تقع علي بعد تسعة فراسخ (٨٩٦و٤٩كم) من مدينة صيدا، ويعتبر أسقف بيروت أسقفاً مساعداً لرئيس الأساقفة في صور،

ومعه أسقف صيدا، وقد اتسعت الأسقفية في صور في هذه الجهة بمسافة ثلاثة فراسخ (٦٣٢و١٦كم) حتى وصلت نهر الكلب الذي يصب في البحر المتوسط.[٥٤] وعند هذا الممر تنتهي حدود بطريركية إنطاكية وإمارة طرابلس.[٥٥] ومن الواضح هنا أن الرحالة بوركهارد ركز علي الجانب الديني لمدينة بيروت، وتغافل الجوانب الأخرى مثل الجانب الاقتصادي، والعسكري والاستراتيجي للمدينة، والتي تميزت بها كواحدة من أكبر وأعرق المدن الشامية في ذلك الوقت.

وقد حظيت مدينة طرابلس بأهمية خاصة في إشاراته، فقد ذكر عنها أنها مدينة ذات شهرة فائقة، وتشرف علي شاطئ البحر المتوسط، وتشبه في ذلك موقع صور، وكانت مزدحمة بالسكان وكان يقطنها في أيامه اليونانيون واللاتين والأرمن والموارنة والنساطرة وجماعات أخري كثيرة.[٥٦] ويؤكد بوركهارد بإشارات قاطعة أنه يمكن إطلاق اسم " الجنة علي الأرض" علي مدينة طرابلس، بسبب وجود كروم العنب وأشجار الزيتون الممتدة علي مساحات واسعة، فضلاً عن وجود أشجار التين وقصب السكر. وألحظ مبالغة شديدة في وصفه لطرابلس، باعتبار أن كل مدن الساحل الشامي يتميز تقريباً بنفس الإيجابية التي ذكرها عن طرابلس، ومن باب هذه المبالغة ذكره بالقول عنها " إنني لم أر مثلها في أي جزء من العالم ". أما السهول الواسعة والواقعة أمام بوابات المدينة فقد اشتملت علي حدائق يزرع فيها بوفرة مختلف أنواع الفاكهة، ويقال أنها كانت تدر سنوياً نحو ثلاثمائة بيزنط[٥٧] لمالكيها. [٥٨]

كما تحدث بوركهارد عن مدينة أرواد البرية (انتارادوس) المعروفة باسم طرطوس،[٥٩] وفيها بين أنها تشمل سهلاً يشرف عليه عدد من القرى، والبساتين المزروعة بأشجار الزيتون والتين الجميلة، وأشجار الفاكهة الأخرى ذات الأنواع المختلفة والغابات الكثيرة، علاوة على ذلك؛ فالسهل كان في أيامه محاطاً بالجداول والمراعي الكثيرة، حيث أقام هناك الأتراك والبدو والتركمان في الخيام مع زوجاتهم وأطفالهم وقطعان مواشيهم وجمالهم وأغنامهم. [٦٠]

كما تناول مدينة بانياس بعدة إشارات، حيث ذكر أنها تقع في الوادي القريب من بيت راحوب، عند سفح جبل الشيخ (جبل لبنان) وتبعد عن صيدا بمسافة أحد عشر فرسخاً (٩٨٤و٦٠كم) ويوجد بالقرب منها عند سفح جبل لبنان جدولان هما جور ودان (حيث يعرف موقع دان الآن باسم تل القاضي) ويلتقي هذان الجدولان أمام بوابة المدينة ويشكلان نهراً واحدا هو نهر الأردن، حيث يقع بالقرب منه مشهد النبي أيوب عليه السلام. [٦١]

وصفوة القول أن ما أتي به بوركهارد من وصف للمدن حول الساحل الشامي قد أفادنا بثراء معلوماته الجغرافية التي انطوت على تفاصيل دقيقة تعكس مدي أهمية موقع كل مدينة بهذا الإقليم، وما حوته من منشآت ومآثر طبوغرافية.

المناطق الداخلية من بلاد الشام في رحلة بوركهارد:

حظيت المناطق الداخلية من بلاد الشام باهتمام كبير من جانب بوركهارد، فقد أفرد لها قسماً خاصاً في رحلته، جعله يبدأ من مدينة عكا ويسير مباشرة نحو الشرق، وأمدنا بإشارات هامة عن بداية تشكل نهر الأردن من أمام مدينة بانياس ماراً بعدة مدن هامة حتى يصب في بحيرة طبرية، ومن أشهرها مدينة كفر ناحوم،[٦٢] والتي ذكرها بأنها كانت مدينة شهيرة ثم تراجعت حتى صارت في أيامه مدينة متواضعة ، فقد ضمت قليلاً من منازل صائدي الأسماك الفقراء ".[٦٣] كما تحدث عن مدينة قيدار الشهيرة،[٦٤] التي شيدت علي الجانب الشرقي لجبل سعير، وذكر أنها تقع علي بعد أربعة فراسخ إلي الشرق من مدينة كورازين،[٦٥]

وعلي مقربة من مدينة كورازين تقع مدينة دوثان،[٦٦] التي أشار إلي وقوعها علي سفح جبل بيت أوليا، وهي مدينة رائعة الجمال محاطة بالكروم والزيتون والتين وبالمراعي، وعلي بعد فرسخ واحد منها، يذكر بوركهارد أن يوسف (عليه السلام) وجد أخوته. وفي هذا المكان الواقع بين الحقول لا تزال الحفرة (البئر) التي وضع فيها يوسف من قبل أخوته ظاهرة للعيان. وفي ذلك يفيد بوركهارد أنه رآها بنفسه علي جانب الطريق المؤدي من جلعاد[٦٧] الذي يلتقي في بيت صيدا بالطريق المؤدي من سوريا إلي مصر.[٦٨]

وعلي ساحل بحيرة طبرية التي تعرف باسم (بحر الجليل)، [٦٩] تقع مدينة طبرية الجليل الرائعة، وكانت تدعي قديماً باسم بحيرة جينساريت، [٧٠] وقد سمي البحر باسمها، ومع مرور الزمن استعيدت بواسطة هيرودس حاكم إقليم الجليل، [٧١] وسميت طبرية علي شرف الإمبراطور الروماني تيبريوس، [٧٢] وهي تمتد علي طول ساحل بحر الجليل. وقد أطلعنا بوركهارد بما حوته المدينة من حمامات طبية، والعديد من الآثار، وخصوبة تربتها، وتنوع محاصيلها. [٧٣]

كما أشار بوركهارد إلي مدينة بيسان (بيت شان)، والتي تقع بين جبل فقوعة "جلبوع" ونهر الأردن، [٧٤] وهي علي بعد نصف فرسخ من النهر، وكان يطلق عليها قديماً سكيثوبوليس، وهي تمتلك السحر والجمال في طبيعتها. [٧٥] وقد لاحظ بوركهارد أنه علي بعد فرسخين (٨٨و١١كم) كانت تتدفق في غرب المدينة عين ماء كبيرة ، ذكرها (عين يزرعيل) أو عين جلود(عين جالوت) . كما أشار إلي مدينة زرعين [٧٦] التي تقع علي بعد مسافة قصيرة (قدرت بحوالي رميتي سهم) من عين جلود، حيث شيدت علي منطقة مرتفعة نوعا ما، وكانت قديماً إحدى المدن الفخمة، وقد حدثت معارك عديدة،فوق السهل الواقع بين جبلي فقوعة "جلبوع" وحرمون ، كان أخرها حرب التتار ضد المسلمين. [٧٧]

أما إشارته عن مدينة جنين، [٧٨] فذكر بوركهارد أنها تقع علي سفح جبال نابلس (جبال إفرايم) وعلي بعد أربعة فراسخ إلي الجنوب من زرعين، كما أشار إلي أنها تقع علي بعد نحو سبعة فراسخ غربي

نهـر الأردن، والتـي يحـدها مـن الجنـوب أرض طمـون المتميـزة بجبالهـا الشاهقة.(٧٩)

كما أشار بوركهـارد إلـي مدينـة شـكيم التـي عرفـت فـي أيامـه نيابوليس(٨٠) (نـابلس) وبـين بأنهـا مدينـة جميلـة، خاليـة مـن التحـصينات الحربية، الأمر الذي جعل سكانها يهربون سريعا مـن الأبـواب الأخـرى حالـة تعرضهم للخطر، والاعتصام بالجبال المجـاورة لهـا. وقـد لاحـظ بوركهـارد قرب هذه المدينة من بئر النبي يعقـوب عليـه الـسلام، علـي جانـب الطريـق المؤدي إلي بيت المقدس. (٨١)

ثم تحدث بوركهارد عن زهرة المدائن بيـت المقـدس(٨٢) قـائلاً: " هـي مدينة الإله الأعلى" ، والتي تقع في منطقـة جبليـة، وتحـيط بهـا الجبـال مـن كافة الجوانب، وعلي الرغم مـن ذلـك فـإن أراضـيها توصـف بخـصوبتها، ويستثني من ذلك الجانب الشرقي للمدينـة، الـذي يقـع باتجـاه الأردن. وعـن المناطق المجاورة للمدينة فقـد ذكرهـا بأنهـا تمتـاز بالخـصوبة. كمـا بـين بوركهارد المسافة بين بيت المقدس والمـدن الهامـة المجـاورة قـائلاً: " وبيـت المقدس تقع علي بعد ستة عشر فرسخاً مـن سبـسطية، وثلاثـة عـشر فرسـخاً من شكيم، وسبعة وثلاثين فرسخاً من مدينة الناصـرة، وسـتة وثلاثـين فرسـخاً من عكا، وتقع المدينة المقدسة علي بعد ثلاثين فرسخاً من مدينـة يافـا، وعلـي بعد سبعة فراسخ من مدينة أريحا، (٨٣) والي الجنـوب مـن بيـت المقـدس تقـع بيت لحم علي بعد فرسخين من بيت المقدس، وتقـع أيـضا علـي بعـد ثمانيـة فراسخ من مدينة الخليل ". (٨٤)

أشار بوركهارد إلي أن مساحة المدينة المقدسة بلغت ٧٤٦٢متر أي ما يعادل خمسة أميال، [٨٥] وأن مساحة المدينة زادت بالتوسعات التي أقامها فيها المسيحيون فيها، وذلك بعد التدمير الذي حدث للمدينة علي يد الرومان في الأزمنة الأولي، وقد وصلت توسعاتهم للمدينة المقدسة، حتى حصروا المكان الذي يوجد فيه قبر السيد المسيح داخل الأسوار.[٨٦] كما بين بوركهارد أن سور المدينة قد تم بناؤه علي الصخرة، حيث يطوق هذا السور المدينة المقدسة من كل جوانبها. [٨٧] كما أشار بوركهارد إلي أبواب المدينة المقدسة، حيث أفاد بوجود ثمانية أبواب بالأسوار[٨٨] المحيطة بالمدينة وهي: بوابة الخليل التي تقع في الجانب الغربي من جبل صهيون،[٨٩] وبوابة القضاء [٩٠] ثم بوابة العمود[٩١] (بوابة القديس ستيفن) يليها بوابة السامرة (بوابة الزاوية) [٩٢] وبوابة الدمن (بوابة الروث)[٩٣] ثم بوابة الأسباط والمعروفة أيضا بوابة الوادي أو بوابة الضأن) [٩٤] والبوابة الذهبية(بوابة التوبة) التي أفاد بأنها بوابة تؤدي إلي المعبد. [٩٥] وأخيراً أشار بوركهارد إلي بوابة المغاربة أو(بوابة عين سلوان) .[٩٦]

كما أشار بوركهارد أيضا إلي الجبال التي تشرف عليها المدينة المقدسة، فقد ذكر أنها تشرف علي جبل صهيون من ناحية الجنوب، وعلي صخرة تعتبر جزءًا من جبل جيحون المرتفع، [٩٧] ولاحظ بوركهارد أن مدينة بيت المقدس تقع علي أرضية رائعة حيث يمكن رؤية مقاطعة العربية، وجبال إبراهيم، ونبو،[٩٨] وسهل الأردن وأريحا والبحر الميت والبتراء، فذكر قائلاً :" ولم أر بحياتي مدينة أو مكاناً يعطي منظراً أجمل

منه، بحيث يصعد إليها المرء فوق الهضاب من كل الزوايا، بسبب وقوعها فوق الأرضية الأكثر علواً في تلك الأرض ".[٩٩]

وقد انتهي بوركهارد من وصفه للمدن الداخلية في بلاد الشام، بالحديث عن مدينة بيت لحم المقدسة، فذكرها أنها تقع إلي الجنوب من بيت المقدس بحوالي فرسخين، وهي المدينة التي شرفت بميلاد النبي داود، والسيد المسيح (عليهما السلام)، وتقع إلي اليسار من الطريق المؤدي للجليل، علي جبل صغير شاهق الارتفاع. [١٠٠]

ومما يجدر ذكره، أنه عند المقارنة بين ما أورده ذلك الرحالة عن مدن بلاد الشام وخاصة في فلسطين، وبين ما ذكره الرحالة الغربيون الذين سبقوه وزاروا الأرضي المقدسة في القرن الثاني عشر الميلادي، نجد أن مدينة بيت المقدس استأثرت بنصيب وافر من حيث التفصيلات الدقيقة التي قدمها، وهو أمر منطقي تماماً نظراً لقدسيتها، وكونها الهدف النهائي لرحلات الحجاج الأوربيين.

وصف بوركهارد للمزارات المقدسة في فلسطين:

قدم بوركهارد وصفاً دقيقاً للأرض المقدسة في فلسطين، وما حوته من مزارات وأماكن مقدسة، بشكل فاق غيره من الرحالة الذين زاروها، وذلك بهدف إعطاء صورة صادقة لكل من أحب رؤية هذه الأماكن من جهة، ولكل راغب في القراءة عنها من جهة أخري، فذكر أنها الأرض التي قدسها السيد المسيح (عليه السلام)، والتي " ما تزال تسابيحه ترنم يومياً في كل كنائس العالم ". [١٠١]

يؤكد بوركهارد بأنه لم يكن لديه أولويات في وصفه المزارات الدينية المقدسة التي قام بزيارتها، فقد تابع وصفه لهذه الأماكن بتأثير انطباعاته الشخصية، وفي بعض الأحوال كانت هذه الانطباعات هي سبب تناوله لأماكن معينة بالتفصيل الوافي، بينما كان يكتفي بملاحظات موجزة نسبياً عن أماكن أخري، وهو ما سنلاحظه فيما بعد. (١٠٢)

كما أشار بوركهارد إلي شوق المسيحيين، تجاه زيارة القدس، حيث توجد المزارات المقدسة، وقدم لنا صورة رائعة لما رآه في تلك الأماكن، وما تردد بخيالاته عن بعضها الآخر، فهو يقول: " أليس ضريح (قبر) المسيح أحق بأن يكون له مقام رفيع، وشأن أكبر بالنسبة لنا، حيث يرتاده الإنسان في أي وقت، فالإنسان يراه عدة مرات في خياله، قابعاً ملفوفاً في الكفن المقدس المصنوع من الكتان، وعندما يذهب المرء لأبعد من ذلك بقليل ، فإنه يري الحجر يتدحرج، ويري الملائكة تجلس حوله "، ومن الواضح أن الرحالة بوركهارد تصور من خلال قدسية هذه الأماكن والمزارات المقدسة التي رآها ، أن المسيحيين عندما يروا هذه الأشياء فإنهم سوف يتعجلون القدوم لزيارة بيت لحم، لكي يستحضروا عظمة وقدسية تلك الأحداث التي حدثت للسيد المسيح (عليه السلام) منذ مولده، وحتى نزوله تحت ثقل الصليب بمساعدة سمعان القوريني (١٠٣). ويقرر بوركهارد أن كل الأماكن التي شهدت آلام السيد المسيح (عليه السلام) ، ما زالت قائمة وكأنها تحكي ما شهدته من أحداث مر بها السيد المسيح

(عليه السلام) في تلك الأرض المقدسة. ويري أن ذلك سوف يثير حماس المؤمنين لزيارة تلك المقدسات التي رآها بعينه.(١٠٤)

وفيما نراه صحيحاً أن وصف بوركهارد للأراضي المقدسة لم يكن أحادياً، بل سبقه الكثير من الرحالة الذين زاروا المنطقة، وقد كان لمثل هذا التحمس الذي شارك فيه بوركهارد وآخرون سابقون عليه قد أثمر بإيجابية، بدليل أن زيارة هذه الأماكن المقدسة قد لقيت قبولاً وترحيباً من قبل المسيحيين في الغرب تباعاً علي مر السنين والأعوام.

كما أن بوركهارد أعطي صورة لمدي زيادة عدد الزائرين للأراضي المقدسة، في تلك الفترة وخاصة من الرهبان والراهبات، (١٠٥) فأطلعنا بما يفيد أنهم كانوا يطوفون حول الأرض المقدسة المباركة، بمجموعات يصل عددها المائة أو المائتين لكل مجموعة تقريبا، ويزورون كل مكان مقدس، وبحماسة مُتقدة يقبلون مسقط السيد المسيح، ويبجلون الأماكن التي سمعوا أنه جلس أو وقف عليها، أو عمل عملاً هناك، مبيناً ما أقبلوا عليه من :" ضرب الصدور ولطم الوجوه والبكاء الشديد".(١٠٦) ونستنتج من خلال ما أورده، رغبته في إثارة أهل الغرب الأوربي ومؤمنيه، لكي يفدون بأعداد كبيرة إلي الشرق لزيارة الأراضي المقدسة.

كما لم يكتف بوركهارد بوصف الأماكن المقدسة فقط، بل نراه يعود لذاكرة التواريخ القديمة (التي وردت بالكتاب المقدس)، ليظهر لنا مدي أهمية وقدسية وطهارة هذه الأماكن أيضا، والتي جذبت إليها الأنبياء والصالحين ، حيث قدم إليها إبراهيم (عليه السلام) ، لينصب خيمة بين بيت

إيل وعاي،[١٠٧] ويقيم إقامة مؤقتة في مدينة جرار،[١٠٨] وبئر السبع ثم في الخليل. وكذلك تحدث عن مريم العذراء المبجلة، التي لم تقنع بسهول الجليل الجميلة الواسعة، وانطلقت مسرعة للصعود إلي بلدة جبلية من بلدان بيت المقدس، بعد أن أبلغتها الملائكة ببشارة السيد المسيح (عليه السلام). ومن أحداث التواريخ القديمة أيضا التي استند إليها بوركهارد ما أشار إليه بشأن النبي يعقوب وابنه يوسف وإخوته، الذين لم يستطيعوا الاستقرار في هذه الأرض(فلسطين) خلال حياتهم، ولكنهم اختاروا أن يدفنوا فيها بعد وفاتهم. [١٠٩]

وسوف نتحدث عن بعض الآثار والأماكن المقدسة التي أشار إليها بوركهارد في بعض مدن بلاد الشام بصورة حية، فذكر أنه في مدينة صور رأي العديد من الآثار المقدسة للقديسين الشهداء، الذين عانوا كثيرا زمن الإمبراطور دقلديانوس،[١١٠] كما أشار إلي مدفن القديس أوريجين،[١١١] الموجود بالمدينة، والحجر الكبير الذي وقف عليه السيد المسيح (عليه السلام)، وهو يعظ تلاميذه، ويتعجب بوركهارد من الرمال التي لم تغط هذا المكان بالرغم من نعومتها .[١١٢]

ويشير الرحالة بوركهارد بقوله: " يقال أن السيد المسيح وصل لمدينة بيروت، وقد صنع اليهود صنما له من مزيج الصلصال والماء سخرية به،[١١٣] وقاموا بصلبه وقد أسالوا كثيراً من الدماء هناك " ويؤيده في هذه الرواية الرحالة الروسي دانيال الراهب. كما رأي بوركهارد في

جبل عكار،[١١٤] بعض المذابح المقدسة، وقبر يوشع (عليه السلام). ذكر أنه رأي كثير من المسلمين يحترمونه ويقومون بزيارته.[١١٥]

أما في مدينة قادش نفتالي، [١١٦] فقد تحدث عن أضرحتها وآثارها المقدسة، فأشار إلي جبل الطور (طابور)Tabor [١١٧] وجبل الجليل[١١٨] الذي هو محل اعتقاد المسيحيين بأنه الموضع الذي التقي فيه السيد المسيح مع تلاميذه يعظهم ويعلمهم الصلاة وأمور الدين، وشفا فيه مرضاهم، وأوفي فيه بحاجة خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين.[١١٩]

وثمة موضع آخر يلقي اهتمام المسيحيين، ويشرف علي بحيرة طبرية، أفرده بوركهارد لذكر واقعة ما يعرف عند المسيحيين باسم المائدة [١٢٠] حسب اعتقادهم. كما أشار أنه رأي في هذا المكان آثاراً لثلاث خطوات من أقدام السيد المسيح (عليه السلام) بارزة " مدموغة " علي حجر.[١٢١] كما ذكر أنه شاهد قبر النبي أيوب (عليه السلام) والذي يوجد بالقرب من سويتا Suetha، [١٢٢] وعلي بعد ثلاثة فراسخ (**٦٣٢و١٦كم**) من هذا المكان باتجاه الجنوب تقع دوثان، والتي أشار بوركهارد أنه بالقرب منها، وجد يوسف (عليه السلام) أخوته، وكذلك رأي الحفرة (البئر) التي وضع فيها بواسطة أخوته ظاهرة للعيان.[١٢٣] وقد أطلق الرحالة ثيودريش عليه اسم البئر الأحمر. [١٢٤]

ويواصل بوركهارد وصفه للمدن في إطار الروايات الدينية التي لا يخلوا منها الأناجيل وخصوصاً ما أنطوي منها علي معجزات، من ذلك ما ذكره عن قانا الجليل،[١٢٥] وقصة قيام السيد المسيح (عليه السلام) بتحويل الماء إلي نبيذ ، حيث ذكر أنه رأي المكان وغرفة المعيشة وبها ستة قدور

فخارية للمياه، فضلاً عن المنضدة التي كانت فيها. (١٢٦) ولم يخف في وصفه للمواضع الدينية والمزارات المقدسة، انتماءه الديني وحماسته تجاه أي تجاوزات قد تصيب هذه المواضع بتلف أو تدمير. فقد ذكر أن هذه المواضع الدينية مثل موضع البشارة والمهد في قانا الجليل، وأماكن أخري عديدة تظهر تحت الأرض، بحيث ينزل الزائر لها عبر سراديب،(١٢٧) مستخدماً سلالم للوصول إليها.(١٢٨) والواضح أن مثل هذه التفاصيل الدقيقة لم نر لها مثيلاً عند غيره من أقرانه الرحالة الغربيين أو الشرقيين الذين زاروا الأرضي المقدسة.

ويظهر ولعه بخفايا أسرار التقديس عند المسيحيين، فقد أورد بإحكام قصة الروح القدس والتبليغ الملائكي، من قبل الملاك جبرائيل في مدينة الناصرة.(١٢٩) وقد أولع بوركهارد في وصفه للأماكن والمزارات المقدسة، وذلك أثناء مشاركته الأهالي للأعياد الدينية، في نفس هذه المواضع المقدسة بالناصرة، وإشارته إلي مذابح الكنائس المنحوتة في الصخر، والتي لها قدسية مكان المهد، والقيامة، وحقل الدم. (١٣٠)

ولم ينس بوركهارد اهتمام مسيحي بلاد الشام بتجميل الأماكن المقدسة وتغطيتها بأنواع جيدة من الرخام رغبة منهم في تخليدها، وكذلك إقامة النصب التذكارية؛ وتُظهر كتاباته في هذا السياق اهتمامات مسيحية، ونذكر علي سبيل المثال الكنيسة التي أقيمت علي أنقاض منزلي القديسة مرثا وسمعان المجزوم،(١٣١) في قرية بيثاني (العيزرية) (١٣٢) كما أشار أيضاً إلي قبر إلعازر الذي نهض منه، وهو مكان ليس بعيداً عن الكنيسة،

وقد شيدت في هذا المكان كنيسة واسعة، ومغطاة بالرخام الجميل، كما أقيم نصب تذكاري تم تغطيته بالرخام أيضا. حيث دخل بنفسه إلي جوف هذا النصب التذكاري.(١٣٣)

وفي هذا السياق لم يخف بوركهارد انفعالاته، بالجوانب النفسية التي أحاطت بالسيد المسيح عليه السلام في طريق الآلام، حتى أسر في الجسمانية(١٣٤) ، وسلك الطريق الذي أوصله إلي الجُلجُثة(١٣٥) حيث كانت المحنة التي تعرض لها.(١٣٦) وذلك حسب الاعتقاد المتعارف عليه بين المسيحيين. وقد أفاض بوركهارد في ذكر المواضع المقدسة التي شهدت أحداث محنة السيد المسيح (عليه السلام) وخاصة في الجلجثة بشكل يفيد تعمق قراءاته الدينية، وتأثره بتلك الأماكن التي رآها ، ونرجح أنه أراد من وراء ذلك جذب واستثارة المسيحيين الغربيين لزيارة تلك المناطق والمزارات المقدسة.

ويظهر اهتمام بوركهارد بالجانب الكنسي من خلال وصفه للعديد من الكنائس والمزارات المقدسة، وسوف أقتصر الحديث هنا علي كنيسة القيامة (القبر المقدس)(١٣٧)، كما أشار إلي كنيسة الجُلجُثة،(١٣٨) التي تقع بجوار كنيسة القيامة، كما أشار أيضا إلي الكهف الذي يوجد به قبر السيد المسيح (عليه السلام)(١٣٩)بكنيسة القيامة، فقد أمدنا بوركهارد من خلالها بتفاصيل دقيقة كافيه للقطع بأهمية مثل هذه الأماكن في نفسه ونفوس المسيحيين ممن تستهويهم هذه الأماكن. كما نلمح من خلال وصفه عبقرية زائدة في طرح دقائق تفصيلية لا تتأتي إلا من متخصص في مجال العقيدة.

ومن الجديد الذي أتي به بوركهارد ما أشار إليه من وجود قبر عظيم ضم كثيراً من رفات الأنبياء في مدينة الخليل، حيث يقال أنه دفن فيه آدم وحواء وإبراهيم وسارة واسحق ورفقة يعقوب وليئة (عليهم جميعاً السلام)، ويبدو أنه كان من المعتقدين في صحة ما ورد في كتاباته بهذا الخصوص، فقد ذكر قائلاً: " وقد زرت قبور الأنبياء هناك وأقمت به ليلة واحدة ".(١٤٠)

إن المتأمل فيما قدمه بوركهارد من إشارات مفصلة عن الآثار الدينية والمزارات المقدسة في فلسطين، ليشعر بحرصه علي احتواء رحلته لتلك الجوانب الهامة، والتي أسهب في وصف كل صغيرة وكبيرة فيها، ليستفيد منها كل من طالعها، أو أراد الحج إلي الأراضي المقدسة بفلسطين، فضلاً عن دقته ومعاينته لها، وعدم اعتماده علي الآخرين في أمرها، بل ارتكز علي المعاينة والملاحظة الشخصية.

الإشارات الاقتصادية في الرحلة:

من الثابت أن إقامة بوركهارد الطويلة في فلسطين؛ مكنته من المقدرة علي دقة التحديد الجغرافي، وثراء التفاصيل، وكأننا أمام مؤلف معجم جغرافي مفصل للأراضي المقدسة بفلسطين، وهذا نتاج خبرته وتعايشه مع المواقع الجغرافية، بحيث جاءت كتاباته تمثل درجة عالية من النضج، (١٤١) كما أن هذه الرحلة جاءت مختلفة عن سابقاتها، نظراً لاهتمامها الأكثر بجوانب أخري، غير وصف المزارات الدينية المقدسة، ومن بين هذه الجوانب كان الجانب الاقتصادي.

اهتم الرحالة الألماني بوركهارد بالناحية الاقتصادية في بلاد الشام، فقد ركز علي الإشارة إلي وفرة المياه والحاصلات الزراعية بها، والتي قامت عليها الكثير من الصناعات، الأمر الذي أدي إلي ازدهار التجارة بها، سواء كانت تجارة داخلية أو خارجية، وخاصة مع الغرب الأوربي. كما أشار إلي توزيعات المياه وانتشارها بكثافة في هذه البلاد، وأمدنا بمعلومات وافرة في هذا الصدد، وخاصة الأنهار والبحيرات العذبة والعيون الجارية بها. (١٤٢)

كان بوركهارد دقيقاً في وصف مصادر المياه العذبة التي نعمت بها بلاد الشام ، فلم يغفل الحديث عن الأمن المائي نظراً لأهميته الكبيرة بالنسبة للصليبيين الذين نازعوا المسلمين الأرض والمياه أيضا، ويظهر ذلك بتخصيصه الحديث عن ري الأراضي بمدن صور وجبل لبنان وصيدا وطرطوس. ففي مدينة صور بين أن مناطق الكروم والتين وأشجار الزيتون والمراعي الواسعة محاطة بالمياه الجارية، (١٤٣)من الينابيع في شكل جداول دافقة، لها منابعها التي تفيض بالمياه علي جوانبها، لتجري في منحدرات وقنوات عميقة وواسعة يستفيد منها أهالي صور في زراعة الأراضي السهلية والحدائق.ومن أشهر ينابيعها " نبع رأس العين ".(١٤٤)

أما في ــ جبل لبنان ــ ركز بوركهارد علي ذكر ينبوع ماء يجري ليشكل نهر (نهر قادشيا)،(١٤٥) ويشير إلي أن هذا الينبوع يخرج من سفح جبل لبنان ثم يدور حول جبل عكار، (١٤٦) وكان يسقي الحدائق والسهول الواقعة بين طرابلس ولبنان (١٤٧) ،

ومما يجدر ملاحظته فإن لبنان حظيت منذ القدم باثني عشر نهراً نصفهم يجري في شرقه والنصف الآخر في غربه، ومن أشهرها أنهار: بيروت، والكلب، وإبراهيم، واسطوان، وعرقه، والزبداني، والليطاني وغيرهما.

ولاشك أن الأراضي بمدينتي صيدا وطرطوس قد نالتا نفس الأهمية المائية عند بوركهارد، حيث أفاد بما كان يحيط بهما من سهول وجداول فيضية، أثمرت عن زراعة أشجار الكرمة وبساتين الفواكه، وقصب السكر الجيد، كما أشار إلي وفرة المراعي في طرطوس مما جذب البدو للإقامة فيها. (١٤٨)

أما الثروة النباتية والحيوانية في بلاد الشام والأراضي المقدسة ، فتعد إشارات بوركهارد في هذا الشأن من أوفر ما وصل إلينا بهذا الخصوص، فقد عكست دقة ملاحظاته، وبراعة وصفه لكافة ما صادفه ببلاد الشام، بصورة ندر وجودها في مؤلفات الرحالة الأوربيين الذين قدموا إلي المنطقة في تلك الفترة. (١٤٩) فنجده يفاجئنا حقيقة بأنه له خبرة ودراية بأنواع النباتات وأشكالها وموسم زراعتها، ويبدو أنه استقي المعلومات بشأن الفلاحة من فلاحين أو رهبان قاموا بزراعتها، وباعتباره واحداً من الرهبان، ربما يكون قد مارس بالفعل هذا العمل ، لذلك جاء وصفه دقيقاً، فقد أشار إلي جودة الكثير من الأراضي الشامية وخصوبتها، بوجه عام وفي الأراضي المقدسة بوجه خاص، ونلاحظ ذلك عندما تحدث عن مدينة

عكا، فذكر أن بها سهلا خصيباً، وجميع أراضيه ومروجه مستغلة تماما، ومزروعة بالعنب والحدائق وأنواع مختلفة من أشجار الفواكه. (١٥٠)

كما أشار بوركهارد إلي أن الأراضي المقدسة جادت بالكثير من الأعشاب والنباتات الطبية التي نمت بها وبالذات في المناطق الجبلية، دون أدني تدخل من قبل المزارعين، ومن هذه النباتات " الزعتر "، ويكثر في سفوح جبال نابلس والجليل، (١٥١) وقد أشار الرحالة الألماني بوركهارد إلي العديد من النباتات والأعشاب الطبية أو العطرية ومن أمثلتها: الشومر، (١٥٢) والمريمية، (١٥٣) والسذاب، (١٥٤) والورود التي تنمو في كل الأراضي المنبسطة التي تلائمها. (١٥٥) ويلاحظ أن الحجاج الأوربيين كانوا حريصين علي شراء مثل تلك الأعشاب والعودة بها إلي الغرب الأوربي للاستفادة منها في الناحية العلاجية.

أما عن بعض المحاصيل التي كان يتم تصنيعها، فقد تناولها بوركهارد بتفصيل دقيق يكشف مدي دقته وبراعته في تناول بعضها، وبالذات تلك المعنية بالصادر من المصنوع. فعندما تحدث عن زراعة القطن، قال: " وينمو القطن في شجيرات ، يبلغ ارتفاعها ركبة الرجل، وتشبه أوراقها أوراق العنب، ولكنها أصغر منها، وينمو فوق هذه الأوراق القرنات".(١٥٦) والي جانب القطن كان الحرير، الذي شكل مع القطن جزءًا من المادة الخام التي تم تصدير جزء منها لغرب أوروبا، والجزء الآخر صُنع محلياً (١٥٧).

أما إشاراته عن زراعة قصب السكر، فقد أمدنا بوركهارد بطريقة زراعته منذ غمره في الأرض حتى حصاده،(١٥٨) وذلك بشكل دقيق لا يتأتى إلا من شخص مارس تلك المهنة بالفعل.

ونلمس من خلال الوصف تلك المكانة التي تبوأتها زراعة هذا المحصول بين الأوربيين. ومما يجدر ذكره أن بوركهارد نوه عن هذه المكانة بالإشارة إلي أن اللاتين في الشرق عرفوا زراعة القصب واستخراج السكر منه لأول مرة في بلاد الشام.(١٥٩)

ثم تعرض في رحلته إلي العديد من أنواع الفاكهة، التي اشتهرت بها بلاد الشام، وخاصة الأرض المقدسة، فقد أشار إلي وجود فاكهة يمكن للمرء أن يتناولها طول العام، ومن أمثلتها البرتقال والليمون والتفاح، ويكثر في الأرض المقدسة التين والرُمان، والخضروات بجميع أنواعها مثل الخيار والقرع وفاكهة أخري عديدة. وقد كرر بوركهارد هذه العبارة في أكثر من موضع، والتي تعطي دلالة علي خصوبة الأراضي الشامية سواء الجبلية منها أو السهلية، والمزروعة بشتى أنواع الفاكهة المشهورة بها بلاد الشام والأراضي المقدسة حتى أيامنا هذه. (١٦٠) وعلي سبيل المثال لا الحصر، فقد ذكر عن مدينة طبرية قوله:" وتنمو هناك أشجار النخيل الكبيرة وكروم العنب وأشجار الزيتون، كما أن تربتها تميزت بالخصوبة العالية". (١٦١) أما عن طرابلس، فقد ذكر بوركهارد أنه يمكن أن يطلق علي أراضي مدينة طرابلس اسم الجنة بسبب وجود كروم العنب وأشجار الزيتون الممتدة علي مساحات واسعة فيها، بالإضافة إلي وجود أشجار

التين وقصب السكر، وأكد قوله " إنني لم أر مثلها في أي جزء من العالم ". أما السهول الواسعة والواقعة أمام بوابات المدينة فقد اشتملت علي حدائق يزرع فيها بوفرة مختلف أنواع الفاكهة، ويقال أنها تدر سنوياً ما قيمته ثلاثمائة بيزنط لمالكيها. (١٦٢)

ويوالي بوركهارد اهتمامه بما أسماه الأمن المائي، من خلال تركيزه علي المحاصيل الشامية التي تحتاج إلي مياه أكثر في الري، فإلي جانب عنايته بذكر قصب السكر علي نحو ما أسلفنا، اعتني أيضا بذكر فاكهة الموز وطريقة زراعته ، مبيناً أهمية المياه في زراعة هذا المحصول، وأمدنا بشرح وافي ودقيق بشكل يعكس الدقة العلمية في وصف شجر الموز وثمره، وطريقة زراعته والتي رآها لأول مرة في بلاد الشام أثناء رحلته.(١٦٣) ونراه يعطي إشارات قيمة علي عدد من المحاصيل التي كان يجري زراعتها مثل البرتقال والتفاح والليمون والتين والزيتون من الفاكهة التي تشتهر بها بلاد الشام. (١٦٤)

أما فيما يتعلق بوصفه لزراعة الكروم؛ فقد أمدنا بأهم النصوص الزراعية بهذا الخصوص في بلاد الشام وفلسطين، نظراً لخصوبة أراضيه ووفرة المياه العذبة الصالحة للري، وهي نصوص بصفة عامة نادرة وقليلة ، كما تخلو منها مؤلفات الحوليات الصليبية، فقد قرر جودة زراعة الكروم في المنطقة المحيطة ببيت لحم وفي وادي الصرار (وادي رفائيم)، وكذلك حول صيدا، وفي كافة أنحاء لبنان، وفي طرسوس حيث ذكر أنه يزرع ويحصد ثلاث مرات في العام، كما قدم لنا إشارات دقيقة تعكس

روحه العلمية، حيث أشار من خلال تحديد زمني أن الكروم التي تنمو في مارس يتم حصدها في أغسطس، وتلك التي تنمو في أبريل تحصد في سبتمبر، أما التي تبدأ في النمو في مايو يتم جمعها في أكتوبر، وبالتالي يتم الحصول علي ثلاث غلات من العنب في العام الواحد. وهذا يعكس لنا مدي جودة الأرض، وغزارة ما تغله من محصولات زراعية وخاصة من الكروم في فلسطين علي نحو خاص وغيرها من مناطق بلاد الشام.(١٦٥) وتجدر الإشارة إلي أن زراعة الكروم كانت لها أهمية بارزة في اقتصاديات الصليبيين في بلاد الشام نظراً لتصنيعها في صورة النبيذ، وحقق نبيذ الأراضي المقدسة شهرة تجارية كبيرة في الغرب الأوربي، وتم تصديره إلي العديد من الدول هناك. (١٦٦) وبصفة عامة، تدل أوصاف الرحالة بوركهارد حول الزراعات في فلسطين علي مدي الثراء الذي كانت عليه ،الأمر الذي جعلها مطمعاً للغزو الصليبي.

وبقدر عناية بوركهارد بالمحاصيل الزراعية في بلاد الشام والأراضي المقدسة، كان اهتمامه بالصناعات القائمة عليها، وعلي سبيل المثال فقد أسهب في الحديث عن صناعة قصب السكر. فتحدث في إشارات واضحة، عن زراعة قصب السكر في أماكن عديدة ومنها مدينة صور التي حصلت علي عائدات وفيرة من زراعة هذا المحصول، كما أفاد بوجود ستة دواليب أو معاصر ـ لعصر القصب ـ ذات أحجام جيدة، لاستخراج السكر والعسل منه في هذه المدينة . (١٦٧) كما أفاض بوركهارد في شرح وتوضيح طريقة استخراج السكر من القصب، موضحاً تجميع القصب

وتقطيعه بشكل طولي، وعصره ، ثم ينزل العصير في وعاء نحاسي مُعد لذلك، ويوضع علي النار حتى يصل إلي درجة التكاثف، ويجمع في سلال مخصصة، وبعد فترة يصبح السكر جافا. وبهذه الطريقة يصنع السكر، وقبل أن يجف يتم ترشيح المادة السائلة منه التي تدعي عسل السكر.(١٦٨) كما أشار بوركهارد إلي استغلال السكان لتدفق المياه، وخاصة من نبع رأس العين القريب من نابلس، حيث استغلها الأهالي في تشغيل طواحين السكر الموجودة عند سفح جبل القرنطل. (١٦٩)

كما أعطانا إشارات عن وجود العسل، كأحد مخرجات صناعة السكر من القصب، وأيضا صناعة الزيت في الأراضي المقدسة، فهو دليل علي وجود هذه الصناعة في هذه المناطق، في المعاصر المعدة لهذا الغرض، ، كما أشار إليها في نقاط متفرقة من وصفه للمدن الشامية والأراضي المقدسة، كما أمدنا بوركهارد بإشارة عن استخراج العسل المأخوذ من النحل، وهو ما يعطينا فكرة علي انتشار هذه الصناعة أيضا في الأراضي المقدسة. (١٧٠)

أما عن الصناعات التي تحدث عنها الرحالة الألماني، والتي تتوفر في بلاد الشام والأراضي المقدسة، فقد ذكر أنه ينتج في طرابلس كثير من الحرير، وفي ذلك يقول : " فقد سمعت وتأكدت من وجود نساجين للحرير، ويصل عددهم إلي نحو ٤٠٠٠عامل وأكثر، إلي جانب غزل الصوف والشمذة (١٧١) وأنسجة أخري من نفس النوع ".(١٧٢)وكان إنتاج المدن الشامية من الحرير له سوق رائجة في أوربا نظرا لجودته، ويذكر أيضاً أن

مدينة صور كانت متخصصة في صناعة أقمشة بيضاء ثمينة تصدر إلي جهات بعيدة، كما كانت الأقمشة الحريرية الخارجة من مصانعها تباع أيضا في الغرب.(١٧٣)

ويلاحظ أن بوركهارد اعتني بالمؤثرات البيئية الشامية، فربط بين مخرجاتها الصناعية وأهميتها التجارية، فأشار إلي الأقمشة الحريرية الشامية التي

ابتيعت في الغرب الأوربي، كما بين أهمية موقع بلاد الشام علي طريق الحرير Silk Road (١٧٤) (٨٠٠٠ ك.م) والذي امتد من الصين شرقاً حتى الساحل الشامي وأمتد إلي آسيا الصغرى إلي البندقية Venice بإيطاليا، ودخل الحرير علي نطاق واسع في التجارة الدولية في عصر عرف " بعصر الثورة التجارية" Commercial Revolution،(١٧٥) ويلاحظ أن كافة القوي الدولية في العصور الوسطي حرصت علي إخضاع الطريق المذكور أو أطرافه لسيطرتها، كما في حالة الصليبيين والمغول. (١٧٦)

ولعل من أكثر الإشارات وضوحا في كلام بوركهارد عن المخرجات البيئية ما أورده عن صناعة المخللات(١٧٧) التي تميزت بها بلاد الشام عن سائر الأقطار الأخرى في العصور الوسطي. كما أشار إلي زراعة الزيتون والسمسم ،حيث أُستخدم محصوليهما في استخراج الزيوت، (١٧٨) وصناعة الصابون، الذي اشتهرت به مدينة نابلس علي نحو خاص، حيث برع سكانها في إنتاج أجود أنواعه .(١٧٩)

وإلي جانب الصناعات السابقة، فقد أوجب الحديث عن أثر البيئة الشامية، بذكره تفصيلات عن صناعة النبيذ من كروم العنب المنتشرة في معظم بلاد الشام، فأشار بوركهارد إلي أنه نظراً لوفرة المحصول وجودته، تم الإقبال علي هذه الصناعة، لما تدره من ربح علي المشتغلين بها.

ويعتبر نبيذ الأرض المقدسة من أجود الأنواع وأشهرها، خصوصا في المنطقة المحيطة ببيت لحم، وفي وادي الصرار(وادي رفائيم)، وصيدا ، وأرواد البرية (طرطوس) [١٨٠]، كما أشار إلي شهرة مدينة بترون Botrus بالنبيذ الفاخر[١٨١]، ويعتبر النبيذ في هذه البلدة أكثر الأشياء جذباً للانتباه.[١٨٢] ولقد ساهم النبيذ في جانب هام من صادرات مملكة بيت المقدس الصليبية إلي الغرب الأوربي، وحقق شهرة واسعة من خلال جودة إنتاجه، والتي تطرق لها بوركهارد في أكثر من موضع،[١٨٣] الأمر الذي أدي إلي زيادة الإقبال عليه من المستهلكين الأوروبيين.[١٨٤]

أما الثروة الحيوانية في بلاد الشام؛ فقد أشار بوركهارد إلي توافر بعض الحيوانات غير المستأنسة في بلاد الشام، مثل الخنازير البرية وإناث الظبي، والأرانب البرية، والأسود والدببة، بالإضافة إلي أنواع أخري من الحيوانات المستأنسة مثل الجمال والجاموس والأغنام وغيرها . لكننا نلاحظ أنه ركز علي الحيوانات التي تخدم العمليات العسكرية مثل الخيول والجمال والبغال، حيث امتطي الفرسان الخيول، واستخدمت الجمال والبغال في نقل الآلات والمعدات الحربية والمؤن والأمتعة، مما عكس أهميتها حينذاك.[١٨٥] كما استرعي انتباهه تلك الأنواع التي تدخل ضمن المنظومة الغذائية عند الصليبيين مثل الخنازير البرية حيث أشار

إلي وفرتها مع الأرانب البرية والظباء، وفوق ذلك كله لم ينس أنواعاً أخري أشار إلي اهتمام الشاميين بتربيتها والاعتناء بها سواء في المناطق الجبلية مثل الأغنام والماعز أو السهلية حيث أشار إلي تربية المواشي والجمال التي تخدم البيئة الزراعية في تلك المنطقة.(١٨٦) ويلاحظ أن نصوص بوركهارد دعمت كتابات المؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres عندما تصدي لوصف الثروة الحيوانية في فلسطين،

والأمر المؤكد أن الخيول والجمال كان لها دورها البارز في التنقل وحمل الأمتعة أثناء المعارك، حيث اعتمد عليها الفرسان، ونقلت معدات الجيش الصليبي إلي ساحات المعارك.

لم ينس بوركهارد الأثر البيئي واضح المعالم في تنشيط الحياة البحرية، فامتد حديثه إلي الثروة السمكية مبيناً أثر السواحل البحرية، واختراق الكثير من البحيرات والجداول والأنهار العديدة في المدن الشامية ، فقد أمدنا بإشارات هامة عن قري معينه كانت تعيش علي هذه الحرفة، فذكر أنه شاهد بالقرب من ساحل بحيرة طبرية بخطوات، في مكان يعرف باسم وريد النيل،(١٨٧) وجود أسماك تدعي كراكين،(١٨٨) تفقس وتتكاثر فيه، وأشار بعدم وجود مثلها في مكان آخر.(١٨٩)

ولا يخفي أثر العقيدة الدينية في نفوس الرحالة الغربيين وبالذات بوركهارد، الذي ربط بين حرفة الصيد وبين ما بينته آيات الكتاب المقدس فيما عرف باسم " المائدة ".(١٩٠) وقد أشار بوركهارد إلي أشهر المواضع أيضا في صيد الأسماك، حيث تقع مدينة كفر ناحوم، التي كانت مزدهرة

قديما، ولكنها أصبحت من المدن المتواضعة في أيامه، حيث أشار إلي أنها تضم قليلاً من المنازل لصيادي الأسماك الفقراء. (١٩١)

وفي موضع آخر ذكر أن بوابة الخليل في المدينة المقدسة، عرفت بعدة أسماء منها بوابة السمكة (السمك)، وذلك لأن التجار والصياديين الفلسطينيين اعتادوا علي إحضار السمك من المدن الساحلية الفلسطينية إلي بيت المقدس عبر هذه البوابة ليباع في أسواق القدس.(١٩٢)

وقد أفادتنا هذه الإشارات الهامة في تكوين فكرة مكملة للنشاط الاقتصادي في الشام والأراضي المقدسة.

صورة المسلمين في كتابات بوركهارد:

مما لا شك فيه أن بوركهارد بوصفه أحد الرهبان البندكتيين،(١٩٣) فقد اعتني في كتاباته بالجوانب النفسية التي قربت بني جلدته الصليبيين من مسلمي بلاد الشام، فقد أكد علي تغير النظرة الصليبية بعد الاختلاط المتبادل الذي نشأ بين اللاتين الوافدين والمسلمين أصحاب الأرض، بحيث صار من السهل أن تتحول نظرة الكراهية تجاه كل مسلم إلي وجهة أخري تتميز بالايجابية.(١٩٤)

لذلك نلاحظ أنه لم ينس أن ينهي حديثه عن بلاد الشام بذكر الخريطة العقائدية للسكان في تلك المنطقة، فأشار إلي استيطان رجال من أجناس مختلفة في الأراضي المقدسة، لكل واحد منهم مذهب خاص به، فتحدث عن السراقنة (المسلمين)(١٩٥) ، وأشار إلي أنهم " يتمسكون

بالشريعة الإسلامية، ويطلقون علي السيد المسيح أعظم الأنبياء، ويعتقدون أنه نفخ من عند الله العظيم، وولد من مريم العذراء....

ويفضلون القول بأنه رفع إلي السماء". [١٩٦] ومن دواعي اعتقاد بوركهارد الشديد في تغير نظرة الغربيين تجاه المسلمين ببلاد الشام، أنه أشار إليهم بكل تقدير واحترام، بدليل أنه بين ما كانوا يقدمونه من تبجيل واحترام للقديس يوحنا المعمدان [١٩٧] ــ سيدنا يحيي عليه السلام ــ والموجود قبره في مدينة سبسطية، [١٩٨] فقد أشار إلي أن المسلمين قالوا عنه :" أنه نبي عظيم مقدس". [١٩٩] كما ذكر أيضا أن المسلمين كانوا يبجلون ويحترمون السيد المسيح (عليه السلام) والعذراء مريم المبجلة. [٢٠٠]

ولكن يؤخذ عليه خطأه في قوله :" وقد أرسل الله إليهم (المسلمين) محمدًا (صلي الله عليه وسلم) فقط. [٢٠١] باعتبار ان ذلك من النصوص القرآنية التي قرأها بنفسه. [٢٠٢] وقد جاءت عباراته بصفة عامة معتدلة، وأبعد ما تكون عن العدائية، مما دل علي أنه كان علي معرفة كبيرة بالمسلمين وبعقائدهم ، بعد طول إقامة في الأراضي المقدسة. ومما يفيد تعمقه في علاقاته الطيبة بالمسلمين في بلاد الشام، إشاراته علي بعض أحد التشريعات في الإسلام، وهو موضوع الزواج، فيذكر بوركهارد قائلاً:" ويبيح لهم الدين الإسلامي تعدد الزوجات"، [٢٠٣]

ولبيان الرد علي كيفية مطالعته للقرآن الكريم، أفاد البعض، [٢٠٤] بأن هناك احتمالين لا ثالث لهما، الأول أن يكون قد طالعه من خلال نسخة مكتوبة باللغة العربية من جانب أي من المسلمين الذين تجاوب معهم بحكم المدة التي قضاها في

الأراضي المقدسة، وهو أمر مستبعد علي اعتبار أننا لا نعرف مدي إجادته للغة العربية التي تمكنه من قراءة وفهم قمة إعجاز هذه اللغة والمتمثلة في القرآن الكريم. أما الاحتمال الثاني ــ وهو الأرجح ــ أن مطالعته للقرآن الكريم كانت من خلال الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم والتي تمت في القرن الثاني عشر الميلادي، وبالتحديد سنة ١١٤٣م وبناءً علي تكليف من مقدم دير كولوني[٢٠٥] الأسقف بطرس الموقر Peter The Venerable [٢٠٦] ويُذكر أن هذا الرجل قام برحلة إلي أسبانيا فيما بين عامي ١١٤١ــ ١١٤٣م،

وشكل لجنة لترجمة القرآن الكريم إلي اللغة اللاتينية، وقد تشكلت هذه اللجنة من كل من: ريمون التطيلي Raymond of Tudela ، والعالم الإنجليزي روبرت الراتيني Robertus Retenensis ،

الذي كان يشغل منصب كبير الشمامسة بمدينة بمبولونا Pemblona والراهب الألماني هرمان Herman ، كما كان ضمن هذه اللجنة بطرس التطيلي Peter of Tudel، وهناك من يرجح أن الأخير قام بدور بارز في هذه المهمة، وبعد أن تمت الترجمة أرسلت إلي رئيس دير كولوني، حيث وضعها تحت تصرف كل من يريدها من القائمين علي أعمال التبشير، خاصة من كبار الرهبان ورجال الكنيسة.[٢٠٧]

ولا نغفل هنا أن هذه الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم؛ تعد أقرب إلي التلخيص الموسع منها إلي الترجمة الحرفية، وهي لا تلتزم بالنص من ناحية الدقة والحرفية، كما أنها لا تلتزم بترتيب الجملة في الأصل القرآني، إنما تقوم باستخلاص المعني العام في أجزاء السورة الواحدة، ثم تقوم

بالتعبير عن ذلك بترتيب خاص من أفكار المترجم. لذلك فإن تلك الإشارات التي وردت في رحلة بوركهارد من جبل صهيون، تعكس لنا حرص بعض الصليبيين في القرن الثالث عشر علي معرفة عقائد المسلمين من خلال القرآن الكريم نفسه(المترجم) وليس من خلال شائعات تتردد هنا وهناك.(٢٠٨) كما أن ذلك يكشف لنا حقيقة هامة أثناء عصر الحروب الصليبية وهي بعدما يزيد عن قرن ونصف من غزوهم بلاد الشام واستقرارهم بالمنطقة، أصبح لديهم معرفة أفضل بالمسلمين في الشرق، وذلك علي عكس ما كان عليه الحال عشية اندلاع الحروب الصليبية.(٢٠٩)

وعلي أية حال، فقد تحدث بوركهارد عن تعاظم روح التسامح بين المسيحيين والمسلمين في بلاد الشام في ذلك الوقت، فهو يؤكد أن المسلمين كانوا يتفاعلون بعواطفهم مع المسيحيين في الأمور الدينية، مستشهداً بأن المئات من الرهبان والراهبات الذين قدموا لزيارة الأراضي المقدسة، كانوا بحماسة مُتقدة يقبلون معقل (السيد المسيح) ويبجلون البقاع التي سمعوا أنه جلس أو وقف عليها، وكانوا يضربون صدورهم ويبكون، ويشير هنا إلي روح المشاركة الوجدانية والعاطفية لدي المسلمين الذين كانوا يشاهدون الموقف فيقول:" أنهم يحركون عديداً من المسلمين للتأثر والبكاء".(٢١٠) وبالنهاية يؤكد بوركهارد بإشارات لا تقبل اللبس أن المسلمين من خلال معاشرته لهم كانوا " مضيافين جداً و كرماء ولطفاء ممتازين".(٢١١)

وهي عبارات تتنافي تماماً مع نصوص تاريخية وردت في المصادر الصليبية خاصة تلك التي دونت في أوائل القرن الثاني عشر

الميلادي، حيث كان التعصب الأوربي شديد ضد المسلمين، ولم يتعايش الغزاة معهم حتى تتحسن الصورة المذهبية عنهم. ومع ذلك، علينا ألا نفهم ما أورده بوركهارد في رحلته في هذا الشأن علي أن العداء الشديد بين المسلمين والصليبيين قد خفت حدته، إذ ظلت الذاكرة الجماعية لدي المسلمين تتذكر المذابح التي اقترفها الغزاة الصليبيون، وأبرزها ما حدث في ١٥ يوليو ١٠٩٩م، عندما اقتحموا مدينة بيت المقدس إبان أحداث الحملة الصليبية الأولي .

وبالرغم من كل ما ذكره بوركهارد عن مدي العلاقة الطيبة مع المسلمين في بلاد الشام، إلا أن روحه المتعصبة كانت تظهر بين الفينة والأخرى، وهو أمر متوقع تماماً في عصر الصراع بين عالمي المسيحية والإسلام، فقد انتقد المسلمين في أكثر من موضع، ووصفهم بالهمجية والإهمال، لكن انتقاده كان أقل عنفاً من انتقاده للاتينيين أنفسهم،[٢١٢] فنراه في احدي الإشارات يذكر أنه خارج بوابة مدينة صور الشرقية يوجد عمود ساقط (أو مدمر) يقال أنه يحدد معالم الموقع، حيث كان بعض الحجاج المسيحيين يذبحون عليه، علي نحو غادر من قبل المسلمين عند زيارتهم لهذا المزار.[٢١٣] وهو أمر مستبعد، ويبدو أنه هذا كان جزءًا من الدعاية الصليبية Crusade Propaganda، من أجل حث الغرب الأوربي علي تقديم المساعدة والمساندة المادية والمعنوية للصليبيين في بلاد الشام.

النقد الذاتي للصليبيين من خلال كتابات بوركهارد:

من الثابت أن الرحالة الألماني بوركهارد امتلك روحاً نقدية عالية اتضحت في كتاباته، أو ما يمكن وصفه بالنقد الذاتي للصليبيين، وهو أمر وجدنا ملامحه

تظهر منذ القرن الثاني عشر الميلادي، في صورة كتابات فوشيه الشارتري ووليم الصوري، غير أن هذا النقد تزايد حتى صار واضحاً في أدبيات القرن الثالث عشر الميلادي التاريخية أو الجغرافية. وظهرت ملامحه في كتابات مؤرخي الصليبيين في الشرق،مثل المؤرخ جاك دي فتري Jacques de Vitry ، وأيضا في بعض الكتابات الغربية، مثل كتابات وليم روتبيف William Rutebeuf، ورالف نجر Ralf Niger. (٢١٤)

ومن الملاحظ أن وصف بوركهارد لصليبي القرن الثالث عشر ببلاد الشام أصبح واقعياً، وذلك بفعل استناده إلي الظروف الموضوعية التي سادت حياة الصليبيين في مملكة عكا آنذاك، ذلك أنه أدرك بنفسه أن العقلية عندهم تحولت إلي عقلية مادية دفعت بهم إلي السعي لجلب المنافع والثروات بديلاً عن المقاصد الروحية؛ وفي هذا السبيل يصف الصليبيين بالأشرار أو اللصوص والزناة؛ ولم يكن ذلك كله إلا بتأثير رهبانيته وتدينه، حتى بلغ به الأمر أنه فقد الأمل في الإصلاح وبناء مجتمع صليبي ينطوي علي الروحانية المطلقة. ونقتبس بعض العبارات التي وردت علي لسانه تقطع بعدم رضاه عن مجتمع عكا الصليبي، وهكذا يذكر في موضع ما نصه:" أن رجالنا اللاتين الذين يأتون من بقاع العالم وبعد إنفاق كل ما احضروه معهم من أموال، يقومون بفعل أسوأ مما كانوا عليه من قبل ". وفي موضع آخر يذكر:" إن الآباء المسيئين ينجبون أولادًا أسوأ منهم، وكذلك الذين ينحدرون من سلالتهم يصبحوا أحفاد أكثر حقارة ورداءه. وفي ثالث يجمل قوله:" واعتبروهم حثالة مجتمعها الغربي.(٢١٥) ويعد هذا النص(٢١٦) من أكثر النصوص صراحة في انتقاد الصليبيين بصورة غير مسبوقة.

وهذا الانتقاد " للاتينيين" يؤيد ويعزز الكثير من تفاصيل صورة المجتمع في مملكة عكا، التي تبدو واضحة من خلال رسالة بعث بها جيمس الفيتري في سنة ١٢١٦م، للسادة الباريسيين (باريس)، يحدد بموجبها أسباب رذائل "اللاتينيين في مملكة عكا"،

الأمر الذي قاده لتبني مدخل نفسي واجتماعي إلي اللاتينيين في عكا، حيث أعتبرهم مجتمع استعماري ضم مجرمين يستحقون عقوبة الموت، واستقروا في الأرض الفلسطينية، لكي يهربوا من العقاب في بلادهم. (٢١٧)

وتفيد إشارات بوركهارد في توضيح النقد الذاتي للصليبيين، وجاء هذا النقد من رجال دين كتبوا مؤلفات تاريخية أو جغرافية، وشعروا بحسهم الديني بتعاظم مظاهر الانحلال والفساد داخل المجتمع الصليبي، وهذا الأمر مثل حقيقة واقعة خلال القرن الثاني من استقرار الغزاة الصليبيين في المنطقة أي في القرن الثالث عشر الميلادي. (٢١٨) هذا من ناحية ومن ناحية أخري كان يهدف من وراء هذا التصريح الخاص ضد "اللاتينيين في مملكة عكا" أكثر من مجرد وصف؛ وتحليل اجتماعي لمجتمع الصليبيين، بل أنه كان انتقاماً من جانب الحجاج المثاليين ضد " اللاتيني الدنس " علي حد قول بوركهارد الذي لم يكن لسلوكه أية علاقة بقاعدة الحياة المتوقعة بالأرض المقدسة.

وفي النهاية أراد بوركهارد أن يعلن عن رسالة للغرب الأوربي مفادها انحلال وقرب نهاية المجتمع الصليبي في بلاد الشام إلي حد جعله

لا يخجل من القول :" أن فلسطين التي يسكنها مسيحيون تحت سيطرة وحكم مماليكي متسامح ويتمتع بالأخلاق ، سيصبح خياراً أفضل من مجتمع دنس، ومقيت مثل مجتمع اللاتينيين. (٢١٩) وتعد هذه إشارات فريدة تعكس الروح الموضوعية التي تمتع بها أحيانا ذلك الرحالة الألماني.

والأمر الذي لا نستطيع إغفاله؛ أن هذا الجانب في رحلة بوركهارد قد أثري كتابته، وأعطاها تميزاً عن الذين سبقوه في هذا المجال، إذ عني الرحالة السابقون بمجرد وصف الأماكن والمزارات المقدسة، دون التعرض لمثل تلك السلبيات لدي الصليبيين، ولا شك أنها كانت من الانتشار بحيث صارت حينذاك أمراً واقعاً Ipso Facto بصورة دفعته لإبرازها في رحلته ، حتى تشجع قراءه علي زيارة تلك المزارات.(٢٢٠)

الخريطة المذهبية لبلاد الشام :

لم ينس بوركهارد أن يتحدث عن باقي الطوائف المذهبية بالشام، خاصة أن تلك المنطقة احتوت علي خليط من العقائد والمذاهب المختلفة التي تعايشت معاً في ذلك العصر، فنلاحظ أنه عندما تحدث عن مدينة طرابلس، ذكر أنها مزدحمة بالسكان، ويقطنها اليونانيون واللاتين والأرمن والموارنة والنساطرة وجماعات أخري كثيرة.(٢٢١) لكن بوركهارد تبني في معرض حديثه عنهم موقفاً متحرراً ممتدحاً بوجه خاص اليونانيين والأرمينيين لتقواهم وسلوكهم، والنساطرة، ومجموعة أخري لها أسماء خاصة. (٢٢٢) ولم يخف إعجابه بدورهم الأخلاقي في المشرق خلال العهد

المغولي . أما السوريون، فلم يحتلوا مكانة إعجاب أو تقدير لديه، كما أنه تجاهل العنصر اليهودي في الشام. (٢٢٣)

فقد أشار بوركهارد إلي العديد من هذه الطوائف وتحدث عن طباعهم، وأهم ما يتميزون به، في وصف دقيق، وذلك بهدف اكتمال المنظومة العقائدية في بلاد الشام والأراضي المقدسة، فقد تحدث عن السريان قائلاً :" هم مسيحيون وجميع الأرض مليئة بهم، ولكنهم لا يحتفظون بأي ثقة من اللاتين، ويرتدون ملابس بالية جداً، وهم ضعفاء الأجسام لا يقدمون الصدقات. ويقطن السريان بين المسلمين. وهم يشبهون المسلمين في لباسهم، ويتميزون بوضع الحزام المصنوع من الصوف علي وسطهم. (٢٢٤)

كما تحدث أيضاً عن طائفة اليونان قائلاً :" أنهم من المسيحيين أيضا، ولكنهم انشقوا، وقد عاد عدد كبير منهم إلي طاعة الكنيسة في المجمع العام، (٢٢٥) الذي عقد برئاسة سيدنا (البابا) جريجوري العاشر (١٢٧١-١٢٧٦م) ". وجميع الأساقفة في الكنيسة اليونانية من الرهبان الموسومين في كلامه بالطهارة والعفة والتقوى والاحترام، وفي ذلك يشير بقوله عنهم:" سوف نحيا في طاعة الكنيسة وتقديسها، وعن طيب خاطر منا." (٢٢٦)

كما أشار أيضا إلي طائفة أخري تدعي المدينيون[٢٢٧] في الأرض المقدسة، ويطلق عليهم اسم البدو التركمان، ولاحظ تقاليدهم البدوية، وعنايتهم بالماشية والجمال والأغنام وولعهم بالقتال والمعارك، وذلك دون أن يعلل ظاهرة تجردهم من المساكن إلي حيث واقعهم البدوي الذي يرغمهم علي الحياة في الخيام ، وكان جزءًا كبيرا منهم يقيم حول نهر الأردن، وفي المنطقة الممتدة من لبنان حتى برية باران. [٢٢٨]

ويلاحظ أن الصليبيين حرصوا علي أن يضمنوا ولاء عناصر البدو القاطنة علي الحدود بين فلسطين ومصر، وكذلك بين الأردن وبلاد الحجاز، ونجحوا أحيانا في هذا الهدف، ومن أمثلة ذلك حملة الفارس الفرنسي أرناط صاحب الكرك علي الحجاز سنة ١١٨٣م، حيث دله عدد من البدو علي الطريق المؤدي للحجاز.

وأخيراً تحدث عن إحدى الطوائف الشيعية في المنطقة والتي تعيش خلف مدينة طرابلس، وبالقرب من حصن الأكراد يسكن مسلمون يطلق عليهم اسم النصيرية،[٢٢٩]

ويجاورهم مسلمون يدعون بالحشاشين، ويقطنون في الجبال خلف أرواد البرية (طرطوس) قرب قلعة المرقب، ولديهم العديد من القلاع

والمدن وأرض خصبة جداً، (٢٣٠) وقد أعطانا إشارات عن طريقة اختيار شيخ الجبل الكبير فيقول:" لا يتولى الشيخ أمرهم بسبب تقدمه في السن، أو عن طريق وراثته للمنصب، وإنما يتم اختياره حسب جدارته الشخصية ومكانته بين أتباعه" . ويذكر بوركهارد إن هؤلاء الناس من أصل فارسي. ويصفهم بالطاعة حتى الموت. ولم يتمكن أي من السلاطين ــ يقصد سلاطين دولة المماليك في مصر والشام ــ بعد ذلك من قهرهم أو إخضاعهم، ولكنهم سنوا قوانينهم وعاداتهم الخاصة واتبعوها باختيارهم، وهم يرعبون جميع المواطنين الذي يقطنون بالقرب منهم، بسبب العنف والصرامة التي يتصفون بها. (٢٣١) ويلاحظ أن تلك الإشارة مجافية للواقع التاريخي إذ أن السلطان الظاهر بيبرس تمكن باقتدار من تقليم أظافرهم وأخضعهم لسيطرته.

وقصارى القول فإن رحلة بوركهارد للأرض المقدسة انطلقت بوصف عام ينبثق عن تأثيرات بيئية توضح مزايا هذه الأماكن، نذكر منها عامل التقديس الذي ظهر جلياً من خلال كتاباته، والعامل الاقتصادي الذي أوضحه لنا وبرر ازدهاره بوفرة المياه وخصوبة التربة ، فازدهرت الزراعات وتنوعت المحصولات ونشطت الحرف وبعض الصناعات، كما تعاظمت المسألة التجارية في داخل بلاد الشام وخارجها.

خاتمـــة:

خلص البحث بصفة عامة إلي عدة نتائج يمكن إجمالها علي النحو التالي:

أولاً: تعد رحلة الرحالة الألماني بوركهارد مـن جبـل صـهيون علـي جانـب كبير من الأهمية نظراً لتنـوع معلوماتهـا، وعـدم اقتـصارها علـي الجانـب الديني الخاص بالمزارات المقدسة لدي الحجاج الأوربيـين الـذين وفـدوا علـي مملكة الصليبيين ، وهو الأمر الـذي افتقدتـه معظـم الـرحلات الـسابقة لهـذه الرحلة.

ثانياً: كما لاحظنـا تميـز ذلـك الرحالـة بغـزارة التفاصـيل عـن الأحـوال الاجتماعية، وخاصة حديثه عن الآخر أي ـ المـسلم ـ فـي رحلتـه، فتناولـه من جوانب مختلفة خاصة الجانب العقائدي، وبالتـالي سـلط الأضـواء الكاشـفة علي الخريطة العقائدية لبلاد الشام عصر الحروب الصليبية.

ثالثاً: إن ذلك الرحالة يعد مرحلة متطورة لرحلات الرحالة الألمان التي اتجهت إلي الأراضي المقدسة في فلسطين عصر الحروب الصليبية، ونذكر في هذا الصدد كل من يوحنا الورزبرجي John of Wurzburg وثيودريش Theoderich ، وبصفة عامة معظم الرحالة الذين زاروا الأراضي المقدسة من جميع الجنسيات، وإن امتاز عليهم بطول إقامته في فلسطين، فصار بها وبدروبها خبيراً.

رابعاً: أكدت صفحات البحث السابقة علي حقيقة مفادها أن الرحلة تعد مصدراً علي جانب كبير من الأهمية، حيث يصف الرحالة أموراً لا تحتويها المصادر التاريخية التقليدية مثل كتب الحوليات Chronicles ، وإذا أخذ البعض علي الرحالة أنهم أحياناً يسجلون رحلاتهم من خلال مدة زمنية قصيرة، أي تسجيلهم لانطباعات سريعة، إلا أن ذلك المأخذ لا يتوافر هنا نظراً لإقامة الرحالة بوركهارد مدة طويلة في بلاد الشام زادت عن العشر سنوات، وبالتالي قدم لنا رؤية صادقة من داخل الجانب والمجتمع الصليبي ، عجزت عن تقديمها المصادر التاريخية المعروفة.

ذلك عرض عن بلاد الشام في كتابات الرحالة الألماني بوركهارد من دير جبل صهيون، وأتمنى أن أكون وفقت في هذا العرض.

والله تعالي ولي التوفيق،

الباحث

حواشي البحث:

(1) بوركهارد Burchard أو بروكاردوس Brocardus أو بروخارد كلها أسماء للرحالة الألماني صاحب هذه الرحلة، وكان أشهرها بوركهارد / بورشارد ، وقد اقترن اسمه بجبل صهيون بسبب الإقامة الطويلة علي هذا الجبل، والتي زادت عن عشر سنوات. أنظر بورشارد من جبل صهيون: وصف الأرض المقدسة، ت سعيد عبد الله البيشاوي، ط١(عمان،١٩٩٥م) ، ص١١.

(2)جبل صهيون: يقع جنوب المدينة المقدسة ، وأقيمت عليه عدة كنائس وأديرة . انظر: John of Wurzburg: Description of the Holy Land .Tran. by Stewart A (London 1890),P.5 ، في حين يذكر الدكتور سعيد البيشاوي أن هذه الأديرة والكنائس أنها كانت تقوم بمنح بعض الهبات والمنح للمؤسسات المسيحية التي تحتاج للمساعدة. انظر: الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية،ط.١(الإسكندرية،١٩٩٠م)،ص٣٠٦.

(3) طائفة الدومنيكان: نسبة إلي مؤسسها القديس الأسباني دومنيك(١١٧٠-١٢٢١م) في سنة ١٢١٥م، وقد لعبت دوراً هاماً في جنوب فرنسا وشمال أسبانيا، وظهرت هذه الحركة من أجل الوعظ والإرشاد والتبشير، وضرب المثل الحي في التقوي والورع والزهد في الدنيا ، ومكافحة تيار الهرطقة الذي ظهر بالكنيسة وخارجها أواخر القرن الثاني عشر، وأوائل القرن الثالث. انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطي، الجزء الثاني، النظم والحضارة (القاهرة،١٩٥٩م)ص ٤١-٤٢، جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطي الأوربية وحضارتها، دار المعرفة

الجامعية(إسكندرية،١٩٨٨م)،ص١٧٦، محمد محمد مرسي الشيخ: النظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطي(أسكندرية،١٩٩٦م)،ص٢١٩.

(4) هي مدينة تقع علي نهر ايلب علي بعد مائة وتسعة وعشرين كيلو متراً جنوب غرب مدينة برلين، وتشتهر بزراعة الشمندر الذي يستخرج منه السكر ، وفيها أيضا معامل تكرير السكر ، كما تشتهر أيضا بصناعة الآلات والورق والنسيج والمواد الكيماوية والزجاج. أنظر بورشارد من جبل صهيون: وصف الأرض المقدسة، ص ١٦، حاشية(٢).

(5) أنظر Aryeh Grabois: " Christian Pilgrims in the Thirteenth century and the Latin Kingdom of Jerusalem: Burchord of Mount Sion. In Joshua Prawer: Outremer, studies in the history of Crusading kingdom of Jerusalem. (Jerusalem,1982) P.287

(6) نقولا زيادة: رواد الشرق العربي في العصوْر الوسطي، طبعة بيروت،١٩٨٦م،ص ١١٣-١١٤، محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، دراسات في التاريخ المقارن، ط.١ (القاهرة، ٢٠١٠م)، ص٢١٠.

(7) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، دراسات في التاريخ المقارن،ص٢١٠.

(8) هو رئيس أساقفة عكا، ولد في مدينة فتري عام ١١٧٠م، وكان من الداعين لشن الحملة الصليبية الخامسة علي مصر، وترك لنا رسائله، وكذلك كتاب تاريخ بيت المقدس، وتوفي سنة ١٢٤٠م. انظر جاك دي فتري عن لغتها اللاتينية: دراسة وثائقية

في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ١٢٠٠ـــ١٢٤٠م.ت.عبد اللطيف عبد الهادي السيد،ط. الإسكندرية،٢٠٠٥م،ص٧:ص١٤، عبد اللطيف عبد الهادي السيد:دراسة نقدية لمنهج الكتابة التاريخية عند جاك دي فتري، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب(العصور الوسطي) تحرير محمد مؤنس عوض،ط.القاهرة،(٢٠٠٣م)، ص١٦٥، ص١٩١.

(9) يتضح ذلك عندما وصف زيارته لجبل جيلبوا Mount Gilboa فقد قرأ في الأنجيل ان لعنة الملك داوود علي هذا المكان، جعلته جدبًا من المطر، لكن الخبرة الشخصية لبوركهارد جعلته يكتب أن هذا :" ليس صحيحاً" فأثناء زيارته لهذا المكان في عيد القديس مارتن الموافق يوم ١١ نوفمبر، أمطرت السماء وأصبح "مبتلاً للغاية" ، لكن هذا الاتجاه النقدي لم يؤثر علي إيمانه علي الإطلاق. أنظر: Aryeh Grabois: .Op.Cit., P.289

(10) Ibid. PP. 288-289

(11) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، دراسات في التاريخ المقارن، ٢١٠.

(12) ذكر بوركهارد أن سبب وجود هذه المشاهد المقدسة والمقابر في سراديب، نتيجة لأعمال الهدم والتدمير، لكثرة الحروب التي دارت بين المسلمين والصليبيين في تلك الفترة ، هذا الأمر أدي إلي طمر هذه المشاهد المقدسة تحت الأرض. ولكن الحجاج الذين كانوا يودون زيارة هذه الأماكن، ويرغبون في الوصول إليها كان عليهم رفع الأنقاض وإقامة السلالم للوصول إليها، ولذلك وجدت هذه الأماكن في سراديب. وهذا تفسيره لما ذكره أن هذا العمل سبق علم الآثار بمئات السنين. للمزيد أنظر:

.Aryeh Grabois: "Christian Pilgrims in the Thirteenth century. .P.291

(13) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، دراسات في التاريخ المقارن، ص٢١٠.

(14).Ibid., P.289

(15)من المعروف أن السلطان الظاهر بيبرس(١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م) قاد عدة حملات حربية بغية اقتلاع بقايا الصليبين من بلاد الشام ، وتمكن من تحرير العديد من المدن والقرى الشامية من قبضتهم. أنظر سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، طبعة١، دار النهضة العربية(القاهرة، ١٩٦٣) ص ٢٣-٢٣٣. ، كما أن السلطان المنصور قلاوون(١٢٧٩ـ١٢٩٠م) الذي عاصر بوركهارد تمكن أيضاً من استعادة العديد من المواقع الأخرى، كان أهمها فتح طرابلس١٢٨٩م. وبعد وفاة السلطان قلاوون سنة ١٢٩٠م تمكن ابنه الأشرف خليل (١٢٩٠ ـ ١٢٩٣ م) من القضاء على بقايا الوجود الصليبي في بلاد الشام، باستعادة مدينة عكا سنة ١٢٩١م) أنظر : سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية،ج٢،ط.٤(القاهرة،١٩٨٦) ص٩٣٥-٩٣٦، سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك، ص٢٥٦-٢٦٠ .

(16)Aryeh Grabois: Op.Cit. P.288.

(17) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٣٨، محمد مؤنس عوض:الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي، ط الأولي(العين للدراسات والبحوث الإنسانية،(القاهرة،٢٠٠٤) ص٨١، ٨٢ .

(18)**Aryeh Grabois: "Christian Pilgrims in the Thirteenth century. PP.286-287.**

(19) Ibid.,286

(20) المقصود هنا سورية الكبرى أو بلاد الشام سورية ولبنان والأردن وفلسطين، وقد قسم بوركهارد سوريا إلي عدة أقسام وأطلق علي كل قسم اسم سورية ، مع إعطاء صفة لكل قسم من هذه الأقسام، فعلي سبيل المثال فقد أطلق علي القسم الواقع بين نهري دجلة والفرات اسم (سوريا ما بين النهرين). أما القسم الثاني من سورية فقد أطلق عليه اسم(سورية البقاع)، والقسم الثالث أطلق عليه اسم (سورية الفينيقية)، ودعا القسم الرابع باسم (سوريا دمشق) أو سوريا لبنان، وأطلق علي القسم الخامس اسم (فلسطين) وقسمه أيضا إلي عدة أقسام. انظر بورشارد: المصدر السابق، تعليق المترجم، ص ٣٢، حاشية(٦) .

(21) قسم بوركهارد الأراضي المقدسة إلي فلسطين الأولي: هي الولاية التي اتخذت من بيت المقدس عاصمة لها. أما فلسطين الثانية: والتي أخذت من مدينة قيسارية، عاصمة لها.أما فلسطين الثالثة: وقد اتخذت من مدينة بيسان، عاصمة لها.انظر: بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص٣٥-٣٦.

(22) قيسارية Caesarea، هي مدينة ساحلية فلسطينية تقع بالقرب من أرسوف، ويلاحظ أن هناك مدينتين تحملان نفس الاسم الأولي في فلسطين والثانية في كبادوكيا Cappadocia بآسيا الصغرى Asia Minor. عنها انظر حسن عبد الوهاب: تاريخ قيسارية الشام في التاريخ الإسلامي،ط.الإسكندرية،١٩٩٠م)،ص ١٧-٢٠.

(23) قيسارية Caesarea، هي مدينة ساحلية فلسطينية تقع بالقرب من أرسوف، ويلاحظ أن هناك مدينتين تحملان نفس الاسم الأولي في فلسطين والثانية في كبادوكيا Cappadocia بآسيا الصغرى Asia Minor.

عنها انظر حسن عبد الوهاب: تاريخ قيسارية الشام في التاريخ الإسلامي،ط.الإسكندرية،١٩٩٠م)،ص ١٧-٢٠. ، وكان يدخل ضمن حدود العاصمة الأولي نابلس وبيت المقدس والخليل والسهل الساحلي حتى رفح.انظر: بورشارد: المصدر السابق،ص٣٦،حاشية (١).

(24) بيسان: هي مدينة بالأردن بالغور الشامي، يقال هي لسان الأرض،وهي بين حوران وفلسطين، وبها عين الفلوس يقال أنها من الجنة، وتوصف بكثرة النخيل.ا نظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١،ص٥٢٧.

(25) شملت العاصمة الثانية الخليل، وأم قيس وقلعة الحصن وطبرية. انظر: بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص٣٦، حاشية (١).

(26) اشتملت العاصمة الثالثة علي مناطق ساحل فلسطين الجنوبي والنقب والمنطقة الجنوبية من الأردن الحالي.انظر: بورشارد: نفس المصدر والصفحة،حاشية (١).

(27) ذكر بوركهارد أن هذه المعلومات استقاها من كتاب جاك دي فتري، الذي اعتمد بدوره علي المؤرخ وليم الصوري في حديثه عن هذه النقطة. انظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص٣٦،حاشية (١).

(28) عكا: تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، إلى الجنوب من صور، على شكل شبه جزيرة، يحدها البحر من الجنوب والغرب، وكانت المدينة مشيدة فوق مرتفع من

الأرض خشية لأن تغرقها مياه السيول، وكانت تطل من جهة البر على سهل فسيح غني بمنتجاته الزراعية، يحميه عدد من التلال المرتفعة من الشمال والشرق والجنوب، ومدخل الميناء محمي بسلسلة تغلق وتفتح، والمدينة محاطة بسور ضخم من جهتي الشرق والشمال، وكان له عدة أبوب كل منها محاط ببرجين. لمزيد من التفاصيل عن موقع عكا وتحصيناتها انظر: ناصر خسرو: سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، (١٩٩٣م)، ص ٦١. كما ذكر ابن جبير بأنها قاعدة مدن الإفرنج بالشام، وشوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطئ الأقدام.انظر: رحلة ابن جبير،(بيروت،١٩٨٠م)، ص٢٧٦.

(29) Aryeh Grabois: Op.Cit.,P.289 .

(30) الداوية Tempars : تأسست هذه الجماعة في سنة ١١١٩م على يد هيو دي باين Hugh de Payen، وكان عدد فرسانها عند التأسيس ثمانية فرسان، عرفوا باسم الرفقاء جنود المسيح الفقراء" وذلك بهدف حماية الحجاج أثناء زيارتهم للأراضي المقدسة، وقد منحهم الملك الصليبي بلدوين الثاني سكناً بالقرب من معبد سليمان، فأطلق عليهم فرسان المعبد، وقد اقسموا يمين الرهبنة وكذلك يميناً للقتال دفاعا عن الحجاج والأراضي المقدسة.ا نظر:عمر كمال توفيق: مملكة بيت المقدس الصليبية (أسكندرية،١٩٥٨م)،ص١٠٤-١٠٥ ، نبيلة إبراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، طبعة جامعة القاهرة(القاهرة،١٩٩٤م)،ص٩: ١٦، إبراهيم خميس: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية) ط. (الإسكندرية، ٢٠٠٢م)، ص٢٧ــ ص٣٧٦.

(31) الاسبتارية Hospitallers: تأسست هذه الجماعة سنة ١٠٩٩م، وقد أهتم هؤلاء الفرسان في بادي الأمر بأمر فقراء الحجاج، ثم حذو الفرسان الداوية، وأصبحوا جماعة عسكرية، وكان من أهم قوانينها" إن القتال في سبيل الرب يعد نشاطا خيريا مكملا للمهمة الأساسية الأخوية، حيث كانت امتدادا لرعاية الفقراء.

لذلك فقد استحوذوا كثيراً علي الثروات في بلاد كثيرة.أنظر: **Hume, Medical Work of:** the knights Hospitallers of Saint John of Jerusalem ,Institute of the History of Medicine of the John Hopkins University, Baltimore(1940).PP.14-20. ، جوناثان ريلي سميث: الاسبتارية، فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص،(١٠٥٠-١٣١٠م) ترجمة صبحي الجابي(دمشق،١٩٨٤م)ص٥٨-٦٢، نبيلة إبراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام،ص١٦-٢١.

(32) لمعرفة المزيد عن هذه الجماعات انظر: ستيفن رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية،ج٢،ترجمة نور الدين خليل،(القاهرة،١٩٩٧م)ص١٨٨-١٩٠، عمر كمال توفيق: مملكة بيت المقدس الصليبية،ص١٠٣-١٠٦، جوزيف نسيم يوسف: المرجع السابق، ص١٧٦، حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، حوالي ١١٩٠ــ١٢٩١م/٥٨٦ــ٦٩٠هـ، ط. (الإسكندرية، ١٩٩٠م)، ص٧٦.

(33) جونثان ريلي سميث: الاسبتارية،ص٧٩-٨٠ .

(34) بورشارد: وصف الأراضي المقدسة، ص٣٩- ٤٠.

(35) وذلك نظراً لوجود ميناء مزدوج ترسو سفن المدينة في الميناء الداخلي، بينما ترسو سفن الأجانب في الميناء الخارجي.انظر: ثيودريش: وصف الأماكن المقدسة في

فلسطين،ت. سعيد عبد الله البيشاوي، ريـاض شـاهين، ط الـشروق ـ عمـان (٢٠٠٣م)ص ١٤٧، ياقوت الحموي: معجم البلدان،م٤،ص ١٤٣- ١٤٤.

(36) سفر حزقيال:آيات:٢٧: ٢ ،٣ ،٤، ٨، ٣٢، ٣٨ .

(37) أما الرحالة ثيودريش فقد ذكر أنها تبعد عـن صـرفند بنحـو ثمانيـة أميـال، وتتفـوق علي المدن المجاورة بقوة أبراجها وأسوارها وهي علي هيئـة جزيـرة محاطـة بـالبحر مـن ثلاث جهات والجهة الرابعة محصنة بالخنادق والحـصون والأسـوار، وقـد شـبهها بمدينـة عكا في التميز نظراً لوجود ميناء مـزدوج ترسـو فيـه الـسفن.أنظـر: المـصدر الـسابق، ص١٤٧.

(38) يذكر بوركهارد أن عدد هذه الأسوار باثني عشرة برجـا قويـاً، لـم أر أبراجـا أفـضل منها في أي جزء من العالم. وتعتبر القلعة المجـاورة لـبعض هـذه الأبـراج قويـة ورائعـة فهي واقعة علي صخرة داخل مياه البحر وبنفس الطريقـة فهـي محاطـة بـالأبراج والمبـاني الفخمة الحصينة، ولا يتوقع للعالم جميعه أن يـستولي علـي هـذه المدينـة بأسـاليب الحـرب القديمة.أنظر: وصف الأرض المقدسة،ص ٤٣-٤٤، ثيـودريش: وصـف الأمـاكن المقدسـة في فلسطين،ص١٤٧، ويشير الرحالة ابن جبير أن صـور مدينـة محـصنة بـشكل طبيعـي، وأن أهلها يمتازون بـاللين والكـرم، انظـر: رحلـة ابـن جبيـر، ص٢٧٧- ٢٧٨ .وانظـر John of Wurzburg: Op. Cit., P.64.

(39) بنيامين التطيلي: جاء إلي الـشرق مـن مدينـة طليطلـة Tudela الاسـبانية، وتجـول في العديد من من المناطق في أوروبا وآسيا وأفريقية، ثـم عـاد إلـي اسـبانيا سـنة ١١٧٣م،

ويذكر عند أنه زار مئات المواقع في كافة أنحاء العالم القديم فيما يقرب من خمسة عشر عاما. انظر: محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي، ص٣٩.

(40) الرحالة الألماني ثيودريش Theoderich والذي زار بلاد الشام في الفترة من ١١٧١ــ ١١٧٣م، وكتب رحلته التي احتوت علي العديد من الزوايا المهمة عن الأوضاع في بلاد الشام خلال القرن الثاني عشر الميلادي، والتي **يمكن** أن ندرك من خلالها تمتعه بقوة الملاحظة، فقد اهتمت رحلته بإبراز إشارات مهمة عن الهيئات الدينية والحربية ببلاد الشام، والعمائر الحربية الصليبية أيضا، أنظر: محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي، ص٤٩-٥٠.

(41) هو أحد الرحالة الألمان الذين زاروا الأراضي المقدسة في القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري، ولا توجد معلومات مؤكدة عنه سوي ما أخبرنا عنها يوحنا من خلال رحلته، وقد ذكر أنه كان قسيساً في كنيسة فورزبوغ ،وهذه المدينة تقع إلي الشمال من مقاطعة بافاريا Bavaria علي نهر المين Main وهي عاصمة فرانكونيا السفلي، وتبعد نحو اثنين وستين ميلاً من مدينة فرانكفورت، أنظر محمد مؤنس:نفسه،ص٢٩.

(42)وليم الصوري: ولد حوالي سنة ١١٣٠، وتولي رئاسة أساقفة مدينة صور سنة ١١٧٥م، انصرف في الشطر الأخير من حياته طلباً للعلم سواء في مملكة بيت المقدس اللاتينية أو في فرنسا أو ايطاليا، منكباً علي الدراسات الدينية ثم أصبح مشرفاً علي ديوان الرسائل في مملكة بيت المقدس، ثم سفيراً للملك عموري لبيزنطة، ومستشارا لمملكة بيت المقدس، ومات وهو يتطلع في حسرة لأن يكون بطريكاً لبيت المقدس،

ومات حوالي ١١٨٥م.أنظر : وليم الصوري: الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ج١، ط الهيئة العامة للكتاب، (١٩٩١م)، مقدمة المترجم ص١٠ وما بعدها.

(43) رأس العين: أو نبع رأس العين، وهو يقع خارج حدود مدينة صور، ولكنه يكون قريبا منها من الناحية الجنوبية للمدينة، انظر الترجمة العربية لرحلة بورشارد، ص٤٢، حاشية(١).

(44) نفس المصدر، ص٤٢.

(45) لم يوضح الرحالة أهمية الأشكال الهرمية في عملية سحب المياه، ويعتقد أن هذا الأسلوب في نقل المياه كان من أجل الحد من سرعة المياه المتدفقة إلي المدينة، وربما يساعد هذا الأسلوب علي وصول المياه باردة إلي المنازل. بورشارد: المصدر السابق، ص٤٣،حاشية (٤).

(46) بورشارد: نفس المصدر،ص٤٣-٤٤ .

(47)للمزيد عن تصدير السلع الشامية من ميناء صور للغرب الأوربي. انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية،ج٣،ص٢٣، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ط٢،(ليدن،١٩٠٩م،ص١٨٠؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،(روما،١٩٧٦م)،ص٣٦٦. **Robbert,(L.B): Venice and the Crusades". In Setton: History of the Crusades, Vol.V,(Winsconsin,1985)P.402, Thompson,(J.W): Economic and Social History of the middle ages (300 – 1300) ,Vol,I,(New York,1949),P.405, Smith (J. R.) : The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem (1174 – 1277), (London,1974),P.62.**

(48)عن تجارة الترانزيت ودور المدن الشامية فيها.انظر: **Byren,(E.H.): Genoese Trade with Syria in the Twelfth Century, In, A.H.R.Vol. XXV,(192o),P.218,**

وانظر أيضا : هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى،ج١،ص ١٨٥، ١٨٨.

(49) الفرسخ: يساوي ثلاثة أميال أي ما يعادل ٥٥٤٤مترا، وهذه المسافة كان يقطعها الرحالة ماشيا علي الأقدام، وهناك فرسخ وصفه بوركهارد بأنه كان فرسخاً قصيرا، والمقصود هنا الفرسخ الذي كان يقطعه الإنسان راكبا علي ظهر حصانه، وقد ذكر بوركهارد في بداية رحلته أنه سار مشياً علي الأقدام في جميع أنحاء الأرض المقدسة، مما يفيد أن الفرسخ الذي ذكره يساوي ثلاثة أميال للسائر علي قدميه.انظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص٣٤،حاشية(٣).

(50) صرفند الصيداوية: ذكرها بوركهارد باسم صاربتا Sarepta وتقع شمال مدينة صور، ويبدو من اسمها أنها كانت تتبع صيدا، ويعتقد أيضا أنها حملت اسم صرفند الصيداوية تميزا لها عن أماكن أخري في بلاد الشام حملت نفس الاسم .أنظر: **John of Wurzburg: Description of the Holy Land.P.63-64**، ثيودريش: وصف الأماكن المقدسة في فلسطين،ص١٤٦..

(51) استخدم بوركهارد مصطلح ولاية فينيقيا وهو مصطلح قديم، ولقد اضطررت إلي التعامل به علي اعتبار أن بوركهارد هو صاحب الرحلة، وإن كنت من غير المؤيدين لاستخدام هذا المصطلح في زمن الرحلة المعنية أي القرن الثالث عشر الميلادي.

(52) تقع مدينة صيدا علي مسافة تبعد عن بيروت جنوبا بنحو ٤٥كم، وعن صور شمالاً بنحو ٤٠كم في سهل ساحلي شديد الخصوبة وافر المياه، ولكنه ضيق ينحصر بين السفوح الغربية لجبال لبنان الجنوبية والبحر المتوسط، يصل لما يقرب من ميلين، وتقوم

مدينة صيدا الحديثة علي نفس الموضع تقريبا والذي كانت تشغله المدينة القديمة. انظر: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، ط١، مكتبة شباب الجامعة(إسكندرية، ١٩٨٦م)، ص٩.

(53) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص٤٨.وقد ذكرت في معجم البلدان بأنها مدينة علي ساحل بحر الشام من أعمال دمشق، شرقي صور بينهما ستة فراسخ ،انظر : معجم البلدان،ج٣،ص٤٣٧. وعن طبوغرافية صيدا التاريخية انظر السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق،ص١٩: ٢٢.

(54) نهر الكلب: هو نهر لبناني يتميز بغزارة مياهه، يبلغ طوله نحو ١٩ ميل (٣٠ كم) وينبع من الجهة الغربية لسلسلة جبال لبنان ويصب مياهه في البحر المتوسط.انظر: Wikipedia.org.

(55) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٤٩-٥٠.أما ياقوت الحموي فقد ذكر عنها أنها مدينة مشهورة علي ساحل بحر الشام، تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ، انظر معجم البلدان، ج١، ص٥٢٥.

(56) أشار بوركهارد علي بعض الطوائف الدينية المسيحية التي كانت تستقر في مدينة طرابلس بينما لم يشر إلي بقية الطوائف، واكتفي بالإشارة إلي وجود جماعات أخري كانت تقيم في المدينة، واعتقد أنه لم يكن موفقا في وصفه، لأنه قسم السكان حسب طوائفهم واعتقاداتهم، وكان الأجدر به أن يصنف السكان حسب أجناسهم، كأن يقول ويقطن المدينة أجناسا من العرب والعجم والبربر وغيرهم أنظر، تعليق المترجم، حاشية(٢)، ص٥١.

(57) البيزنط: عملة ذهبية سميت بهذا الاسم نسبة إلي بيزنطة وكانت هذه العملة متداولة في العصور الوسطي حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، والبيزنط يعادل نحو ثلاثة جرامات ونصف من الذهب الخالص، انظر :يعقوب الفتري: تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، دار الشروق(عمان،١٩٩٨م)،ص١١٠،حاشية(٢)، ستيفن رانسيمان:الحضارة البيزنطية، ت.عبد العزيز توفيق جاويد(القاهرة١٩٦١)،ص٢١١، سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية، ص١١٨-١١٩، حاشية(٤).

(58) بورشارد: وصف الأراضي المقدسة،ص٥١.

(59) طرطوس: بلده من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الشامية، وهي أول أعمال طرابلس، مطلة علي البحر شرقي عرقه وبينهما ثمانية فراسخ، ولها قلعتان وفتحها عبادة بن الصامت سنة١٧هـ .انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٧٠.

(60) بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص٥٤ .

(61) بورشارد: نفسه،ص٦٠-٦١.

(62) كفر ناحوم: تبعد عن طبرية نحو خمسة عشر كيلومتر باتجاه الشمال الشرقي، كما تبعد نحو أربعة كيلومترات عن مصب نهر الأردن ببحيرة طبرية، وقد كانت مركز لجباية الأموال في العصر الروماني.انظر مصطفي مراد الدباغ: المرجع السابق ، ج٦، ق٢، ص ٣٥٩.

(63) بورشارد: وصف الأراضي المقدسة، ص٧٢ .

(64) مدينة قيدار: تقع في جمالة (الحصن) الواقعة شرق بحر الجليل ولعل اسم المدينة يرجع إلي عرب بني قيدار الذين ظهروا أول مرة في القرن السابع قبل الميلاد وقد حملت هذه المدينة نسبة إلي قبيلة عرب بني قيدار انظر إحسان عباس: تاريخ دولة الأنباط، الطبعة الأولي(عمان١٩٨٧م)،ص٢٠-٢٢، وحاشية (٤)،ص٦٣.

(65) كورازين: ذكرت بعدة أسماء مختلفة منها كورازيم أو كوروزيام أو كوروزيان أو كوروكايم وكان أكثرها شهرة كورازين ويعتبر تحديد موقعها غرب الأردن خطأ.انظر: بورشارد: المصدر السابق، ص٦٣، حاشية(٣).

(66) مدينة دوثان Dothan أو دوثايم Dothaim ، كانت تشاهد في القرن الثاني عشر الميلادي في أراضي جب يوسف علي الساحل الشمالي من بحر الجليل.لكن الموقع الصحيح هو تل دوثان الذي كان معروفا في القرن الرابع الميلادي، وكان مأهولاً بالسكان.انظر: مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين،ج٢، ق٢، ص٢٧ .

(67)جبل جلعاد من أكثر جبال سلسلة جبال لبنان ارتفاعاً ، حيث يبلغ ثلاثة آلف قدم، وقد ورد ذكر اسمه في سفر أرميا " جلعاد أنت لي رأس لبنان"انظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص٦٦، حاشية(١).

(68) بوركهارد: المصدر السابق،ص٧٧ .

(69) بحيرة طبرية:هي نحو من عشرة أميال في ستة أميال، وقد رأيتها مراراً، وهي كالبركة تحيط بها الجبال، ويصب فيها أنهر كثيرة تجيء من بانياس والساحل والأردن الأكبر، وينفصل منها نهر عظيم يسقي أرض الأردن الأصغر وهو بلاد الثغور، وبين

البحيرة والبيت المقدس نحو من خمسين ميلاً ويلاحظ أنها تعد أكبر مصدر للمياه العذبة في فلسطين.انظر:ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج١،ص٣٥١-٣٥٢ .

(70) بحيرة جينساريت: سميت بهذا الاسم بعد أن تغير اسم بلدة كنّروت إلي جينساريت، وقد حملت البحيرة عدة أسماء أقدمها (بحيرة الجرجاشيين) نسبة إلي القبيلة العربية الكنعانية التي سكنت هذه المنطقة منذ فجر التاريخ ثم دعيت باسم بحيرة كنارة أو بحيرة كنّروت نسبة إلي بلدة كنعانية يرجح أن موقعها كان في تل العريمة في ظاهر خان المنية الشمالي وفي العهد الجديد ذكرت هذه البحيرة باسم بحر الجليل وبعد إنشاء مدينة طبرية نسبت إليها البحيرة ومازالت تحمل هذا الاسم حتى الوقت الحاضر، وبحيرة طبرية تشبه الكمثري في شكلها، ويبلغ طولها ٢١كم وعرضها١٢كم ومساحتها ١٦٥كم مربع. انظر: مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١، ق٢، ص٦٩.

(71) هيرودوس انتيباس الذي حكم إقليم الجليل منذ سنة ٤ق.م ــ ٣٩م وقد شمل حكمه البلاد الواقعة بين نهر الليطاني وبحيرة طبرية وعكا وصور ووادي اليابس ونهر الموجب، وقد أعاد بناء مدينة صفورية شمال غربي الناصرة كما بني مدينة طبرية إكراما للإمبراطور تيبريوس ،انظر: يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ت.القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، ط.٣،(.القاهرة ١٩٩٨م)، ص٢٦، حاشية (١).

(72) طيباريوس أو تيبريوس: تولي حكم الإمبراطورية الرومانية سنة ١٤م، وكان في الثانية والخمسين من عمره، وكان رجلاً جادّ ، قدم خدمات جليلة للإمبراطورية أثناء فترة حكمه. اعتزل الحكم سنة ٢٦م انظر دونالد دولي: حضارة روما، ترجمة جميل الذهبي وفاروق فريد، (القاهرة،١٩٧٩م)، ص ٢٥٦.

(73)بورشارد: وصف الأرض المقدسة ،ص٩٠-٩١.

(74)أنظر وصف ثيودريش لجبال فقوعة ونهر الأردن.في وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ص١٠٨ــ١٠٩.

(75) بورشارد: المصدر نفسه،ص١٠٠، أما ياقوت الحموي فقد ذكر عنها أنها مدينة بالأردن بالغور الشامي، يقال عنها أنها لسان الأرض، وهي بين حوران وفلسطين، ويتصف أهلها بالبشرة السمراء. انظر معجم البلدان،ج١،ص٥٢٧.

(76) زرعين: دعيت باسم جرينGerinum أو جراين Gerayn في القرن الثاني عشر الميلادي. وجرين الصغرى وهي جنين Jenin وأشار بوركهارد إلي أن زرعين كانت أحدي المدن العظيمة في إسرائيل، وكان عليه أن يشير إلي تلك البقعة التي أنشأ فيها الإسرائيليون مملكة إسرائيل، واتخذوا من سبسطية عاصمة لهم.انظر: بورشارد:المصدر السابق ،حاشية(٣)،ص١٠٠.

(77) يقصد بوركهارد بالعصور الحديثة بالنسبة له لأنه عاش في العصر الوسيط، أما عن إشارته إلي الحرب بين المغول والمسلمين فوق هذا السهل، فالمقصود هنا معركة عين جالوت التي انتصر فيها المسلمون علي التتار سنة١٢٦٠م/٦٥٨هـ. بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص١٠٠-١٠١.

(78) جنين: ذكرها بوركهارد باسم عين جانيم Engannim وكانت في القرن الثاني عشر الميلادي تعرف باسم بلدة جراين الصغيرة.أنظر حاشيه(٤)،ص١٠٣، لكن ياقوت الحموي جنين بأنها مدينة صغيرة وجميلة، تقع بين نابلس وبيسان وتشتهر بكثرة العيون الجارية،أنظر معجم البلدان،ج٢،ص٢٠٢،أما جنين في الوقت الحاضر فهي من المدن

الكبيرة في فلسطين، يحيط بها عدد كبير من القرى، وهي المركز الرئيسي ، وجميع ما تنتجه هذه القرى من ثروات يتم تسويقه في جنين، ومنها إلي باقي المدن الفلسطينية،انظر سعيد البيشاوي: نابلس، ص٥٥،حاشية(٢٥) .

(79) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٠٣ .

(80) مدينة نيابولس: (نابلس) تختلف كلية عن مدينة شكيم، لأن مدينة شكيم دمرت سنة٦٧م علي يد القائد فسبسيانوس ولم تشيد مرة أخري، وهي تقع شرقي مدينة نابلس، ولا تزال أطلالها قائمة حتى هذه الأيام، أما نيابوليس فقد شيدت في سنة ٧٠- ٧١م غربي شكيم المدمرة، ولا تزال المدينة قائمة حتى اليوم وتعتبر من أجمل المدن الفلسطينية.عن نابلس انظر: Fulcher of Chartres:History of the expedition to Jerusalem,Trans. By Francise Rita Rian, Tennesse,1969,P.30,P.78.,William of Tyre: History of deeds done beyond the Sea,Trans.by Babcock and Krey,Vol.II,New York,h943,P.88,P.206. ، سعيد عبد الله البيشاوي: نابلس، ص٢١٠.

(81) بئر يعقوب: يقع في أرضي قرية بلاطة الواقعةُ شرقي نابلس وعلي بعد ثلاثة كيلومترات منها. وعلي حافة هذا البئر تحدث السيد المسيح مع المرأة السامرية، وقد أقام الصليبيون في هذا المكان كنيسة صليبية حملت اسم كنيسة بئر يعقوب، انظر، John of Wurzburg: Op Cit., P.8 ثيودريش: وصف الأماكن المقدسة في فلسطين،ص١٢٦. بورشارد: المصدر السابق،ص١٠٨. ويبدو أنها دمرت أكثر من مرة، ففي سنة ١١٨٧م دمرتها قوات صلاح الدين عقب فتح نابلس، وفي سنة ١٢٧٣م دمرها مرة أخري السلطان الظاهر بيبرس، ويبدو أن الكنيسة رممت أكثر مرة والترميم الحالي يعود إلي أوائل القرن العشرين حيث احتفظت الكنيسة بالشكل

الرئيسي، ويظهر فيها السرداب المشتمل علي البئر تحت مذبح الكنيسة.انظر سعيد البيشاوي: كتاب نابلس، ص٢١١.

(82) عن الأسماء القديمة التي أطلقت علي بيت المقدس وتاريخ تسميتها، انظر: هابيل فهمي عبد الملك: أورشليم "القدس" منذ أقدم العصور وحتى بداية العصر الروماني" بحث في الندوة الدولية عن " القدس التاريخ والمستقبل" بمركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط، (أكتوبر ١٩٩٦م) ص١٩٣-١٩٥.

(83) أريحا: هي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسالك، سميت لأحد أبناء سام بن نوح عليه السلام.انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٦٥.

(84) بورشارد: وصف الأراضي المقدسة ، ص١٢٦.

(85) من الواضح بوركهارد أخطأ في تقديره هذا، فالحقيقة أن الخمسة أميال تعادل ٩٢٤٠متر، باعتبار أن الميل يساوي١٨٤٨مترا، وعند ضرب هذا الرقم في خمسة أميال يكون الناتج ٩٢٤٠مترا، وبذلك يكون الفارق بين الرقم الحقيقي للخمسة أميال وما ذكره بوركهارد. انظر: وصف الأرض المقدسة، ص١٤٣، حاشية (١).

(86) لم تكن مدينة بيت المقدس كبيرة الحجم في العصور الوسطي، لكنها كانت مدينة صغيرة، إذا ما قورنت بحجمها في العصر المسيحي الأول. بوركهارد: المصدر السابق والصفحة،حاشية(٢).

(87) ذكر بوركهارد أن السور امتد غرباً حتى وصل بوابة الأسباط ثم ينحرف نحو الشرق مرة أخري حتى بوابة السامرة الواقعة عند الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة وبعد

ذلك ينحرف السور مرة أخري من الشمال مستديراً نحو الشرق باتجاه الجنوب عبر المنطقة الواقعة خارج المعبد، مطوقاً المنطقة، وتقع بوابة المغاربة الواقعة قرب جبل صهيون من الشرق في المنطقة التي يتصل فيها الجزء الغربي من السور مع الجزء الشمالي.انظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص١٤٣.

(88) Charles Couasnon: The Church of The Holy Sepulchre In Jerusalrm. , P.32.

(89) ذكرها الرحالة الروسي دانيال الراهب باسم بوابة بنيامين ، وذكر أنه تشرف علي اتجاه بيت لحم، وأشار أيضا إلي أن الحجاج المسيحيين كانوا يدخلون منها للأراضي المقدسة.أنظر رحلة دانيال الراهب في الديار المقدسة،ص٥١، عبد الحميد زايد: القدس الخالدة،ص٢٤٠.

(90) بوابة القضاء وتقع في الجانب الغربي للمدينة علي مسافة شمال البوابة الأولي، وكانت تدعي بالبوابة القديمة أو بوابة القضاء أو الحكم. أنظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص١٤٥.

(91) من أشهر بوابات بيت المقدس، وأكبرها حجما، وكانت تعد المدخل الرئيسي للمدينة، وتم تجديدها زمن السلطان العثماني سليمان القانوني.انظر عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص٢٤١.

(92) بوابة السامرة: تقع عند الزاوية الشمالية الشرقية لمدينة بيت المقدس، ولذلك أطلق عليها اسم بوابة الزاوية، وقد أقيمت هذه البوابة في السور الشمالي للمدينة منذ عهد قديم يرجع إلي ما قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام، واشتهرت هذه البوابة بعدة أسماء

منها: بوابة مدلين، وبوابة هيرودوس، وبوابة الزاوية، كما أطلق عليها اسم بوابة جب أرميا ،انظر المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦٨ .

(93) تقع هذه البوابة فوق وادي قدرون، ومنها يؤدي الطريق من المدينة إلي الصحراء، وكان تؤدي إلي أماكن غير مأهولة بالسكان.انظر بورشارد: المصدر السابق،ص١٤٦.

(94) تقع جنوب بوابة الدمن، وتدعي ببوابة الضأن لأن الأغنام التي كانت تقدم للأضحية في المعبد كانت تساق عبر هذه البوابة، أما تسمية بوابة الوادي لأن الطريق الذي يمر عبرها يؤدي إلي وادي جوسفات الذي يقع بالقرب منه قبر السيدة العذراء.انظر: John of Wurzburg: Description of the Holy Land. P. 64,51.

(95) يقصد معبد سليمان، عن تاريخه وآثاره انظر Ibid, P.12.

(96) بوابة المغاربة: تقع في وادي قدرون في إلي الجنوب من البوابة الذهبية بين جبل صهيون وجبل المعبد، وتدعي ببوابة الماء لأنها تؤدي إلي الينبوع وبركة الاستحمام في سلوان.انظر: بورشارد: المصدر السابق،ص١٤٧.

(97) جبل جيحون: هي التلة لمدينة بيت المقدس الواقعة غرب بيت المقدس، والاعتقاد بأنها بركة جيحون السفلي فلم تلاحظ في العهد القديم علي أنها بركة السلطان، والبركة شيدت في القرن الثاني عشر م ، انظر بورشهارد: مصدر سابق، ص١٣١،حاشية (٤).

(98) جبل نبو: من ضمن سلسلة جبال مؤاب مقابل أريحا علي الجانب الشرقي من الأردن، ويبلغ ارتفاع قمته ٦٤٣ قدم فوق سطح البحر، ويهبط إلي البحر الميت لعمق ٤٠٠٠ قدم، ومنطقة جبل نبو مطلة علي البحر الميت ووادي الأردن. انظر: فون باجوت جلوب: اليهود واليهودية في العصور القديمة، ترجمة رشاد الشامي،(القاهرة،٢٠٠١م) ص٨٢-٨٤.

(99) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ، ص ١٤٢.

(100) بيت لحم: يذكر ياقوت الحموي عن هذه المدينة أنها بليدة قرب البيت المقدس، عامر حافل، فيه سوق وبازارات ومكان مهد سيدنا عيسي عليه السلام، علي بعد فرسخ من جبرين، ثم كانت النخلة وليس ترطيب النخيل بهذه الناحية، لكن جُعلت لها آية، وبها كنيسة مشهورة. انظر: معجم البلدان،ج١، ص٥٢١. John of Wurzburg: Description of the Holy Land. PP. 54- 55.

(101) بورشارد: المصدر السابق، ص ٣٠ – ٣١.

(102) Aryeh Grabois: Op.Cit.,P.290

(103) نسبة لمدينة قورينة الإغريقية وهي أحدي المدن التي أقامها اليونان في ليبيا، وتعرف الآن باسم مدينة شحات. انظر: سعيد البيشاوي:الترجمة العربية لرحلة بورشارد، ص ٢٨،حاشية ١.

(104) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ، ص٢٨.

(105) يذكر بوركهارد أن هؤلاء قدموا من جورجيا وأرمينيا الكبرى والصغرى وبلاد الكلدانيين وسوريا وميديا وفارس والهند وإثيوبيا وبلاد النوبة والأنْباط وهؤلاء كانوا من الموارنة واليعاقبة والنساطرة واليونان والسريان وطوائف أخري، انظر الرحلة، ص٢٨.

(106) بورشارد: المصدر السابق والصفحة.

(107) مدينة عاي: تعتبر من أقدم المدن الكنعانية، وتقع غربي مدينة أريحا، وقد تعرضت للغزو العبراني، وتم الاستيلاء عليها بعد أن أُحرقت، وقام العبرانيون بقتل سكانها. انظر: إبراهيم الشريقي: أورشليم وأرض كنعان، عمان ١٩٨٥م) ص٦٥،

حاشية(١) ويذكر ياقوت الحموي عن بيت إيلياءُ بكسر أوله وألام، أنه اسم مدينة ببيت المقدس، وقيل معناها بيت الله ،أنظر معجم البلدان،ج١، ص٣٠٩.

(108) جرار: كانت أحدي المدن الفلسطينية الشهيرة وكانت تقوم علي التل المعروف باسم تل جمة الواقع علي الجانب الأيسر من وادي غزة، والموقع يبعد نحو خمسة وعشرين كيلو متراً إلي الجنوب الشرقي من غزة.انظر:بورشارد.المصدر السابق، ص٢٩، حاشية(٢).

(109) بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص ٢٩.

(110) الإمبراطور دقلديانوس تولي حكم الإمبراطورية البيزنطية فيما بين عامي سنة ٢٨٤ــ ٣٠٥م وقام باضطهاد المسيحيين وأطلق بعض المؤرخين علي عهده عصر الشهداء، وقد أصدر أربعة مراسم قاسية ضد المسيحيين سنة ٣٠٣م، ينص الأول منها علي تدمير الكنائس المسيحية وإحراق الكتب المقدسة، ويقضي الثاني والثالث بالقبض علي كافة رجال الأكليروس، بمختلف طبقاتهم وعدم الإفراج عنهم، إلا بعد تقديم القرابين لآلهة الدولة، أما المرسوم الرابع فقد صدر سنة ٣٠٤م ويلزم كل فرد في الدولة أن يقدم قرابينه للآلهة. والي جانب ذلك منعهم من العمل في المدارس وكذلك من السفر في البريد الإمبراطوري.أنظر حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٨٣م)ص١٧ــ١٨، رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، ج٢ ط٢(دار المعارف، ١٩٨٢م)، ص ٤٢-٥٣.

(111) القديس أوريجين St. Origen عاش في الفترة الواقعة بين سنتي ١٨٥-٢٥٥م، وقد تعلم اليونانية علي يد أبيه، وبعد وفاته انكب علي دراسة الأدبيات وتعمق فيهان كما ألم بفقه اللغة، وقد

سافر إلي اليونان بسبب أمور كنسية عن طريق فلسطين، وتم ترسيمه قساً في قيسارية، ووضع عدة مؤلفات عن الكلمة الإلهية ونشرها وهو في عنفوان شبابه. انظر يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، الكتاب السادس، الفصل الثاني، ٢٨٦-٢٩٣، محمود محمد الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، دار المعارف،(القاهرة،١٩٨١م)،ص٦٩ .

(112) بورشارد: المصدر السابق، ص٤٤-٤٥ .

(113) ذكر دانيال الروسي أن اليهود قاموا بطعن صورة المسيح برمح، وعندما اندفع منها الدم والماء، تحول كثير منهم للمسيحية، وعمدوا أنفسهم باسم الأب والابن والروح القدس. أنظر رحلة الحاج دانيال الراهب في الديار المقدسة،ص ١٠٤.

(114)جبل عكار: ويقع علي بعد فرسخين من طرابلس وفرسخ واحد من جبل لبنان وهو جبل مرتفع بعض الشيء ذو مظهر مستدير وعند سفحه من الناحية الشمالية انظر: بورشارد:المصدر السابق، ص٥٤.

(115) بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص٤٩-٥٠.

(116) قادش نفتالي: من أقدم المدن الكنعانية، وكلمة قادش تعني المقدس، ذكرها الرومان بمعني قاداسا Cadasa ، وذكرها الصليبيون باسم قدس Cadis وصفها الرحالة المقدسي بأنها مدينة صغيرة علي سفح جبل كثير الخير بها ثلاث عيون شربهم منها، وحمامهم واحد، والجامع في السوق.ا نظر أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ص ١٨٠،١٨١.

(117) جبل طابورTabor: هو جبل الطور ويقع في إقليم الجليل بشمال فلسطين وفي ظاهر قرية دبورية التي شيدت عند صفحة الغربي، ويشرف علي سهل مرج بن عامر، ويبعد نحو أربعة أميال إلي الشرق من مدينة الناصرة، ويرتفع عن سطح البحر نحو خمسمائة وثمانية وثمانين

متراً، وقد اهتمت المصادر الصليبية بالإشارة إليه، عنه انظر، Anonymous: The Deeds of the Franks and the other pilgrims to Jerusalem,Trans.By R.Hill, London, 1962, P.100, Daniel: the pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land, Trans. By Wilson. P.P.T.S.,Vol.,IV (London,1895)PP.66-67.. ، الشابشتي: الديارات، تحقيق كوركيس عواد ، ط. (بغداد،١٩٥١م) ، ص ١٣٢، طه قلجي: الطراونة، تاريخ مملكة صفد في عهد المماليك.ط.(بيروت،١٩٨١م)ص٧٥-٧٦، مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين،ج٧، ق ٢، ص١٣- ١٨.

(118) جبل الجليل: في ساحل الشام ممتد إلي قرب حمص، ويقال أن عيسي عليه السلام دعا لهذا الجبل أن لا يعدو سبعُه ولا يجدب زرعه.انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٢،ص١٥٧.

(119)إنجيل متي١٤: ١٧-٢٠،إنجيل لوقا :٩ : ١٤-١٧، إنجيل مرقس ٦: ٢٨-٤٢.

(120) ذكر بوركهارد أن السيد المسيح عليه السلام وقف عند شاطئ بحيرة طبرية بعد بعثه حيث قال لأتباعه الذين كانوا يصطادون" أيها الغلمان هل لديكم شيئاً للأكل".يوحنا: آيه٢١ -٢٨، كما ذكر أيضا أنه علي بعد عشر خطوات من هذا المكان نزل أتباع المسيح من السفينة ورأوا السمك (يشوي) علي النار المتقدة بالفحم، كما شاهدوا الخبز أيضا. أنظر:يوحنا:آية ٩:٢١ . بوركهارد: وصف الأرض المقدسة،ص ٧٢،٧١.

(121) بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص٧١-٧١.

(122) سويتا Suetha أو Suite، امتدت من بركة الروم إلي الجنوب من درعا وكان نهر اليرموك يجري في تلك المنطقة وهناك من يذكر أنها بعدت ١٦ميلاً من طبرية، وأنها كانت موقعاً لاحتفال سنوي من جانب عناصر اليونانيين والسريان، عنها أنظر،: William of Tyre: Op.Cit., Vol.II, P.27، هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدني في العصور الوسطي،ترجمة أحمد محمد رضا ، (القاهرة١٩٨٥م) ، ج١، ص١٨٣.

(123) بورشارد: المصدر السابق،ص٧٧.

(124) وصف الأماكن المقدسة في فلسطين،ص١٠٥.

(125) قانا الجليل : قانا كلمة سريانية بمعني العش، وقد ذكرت في العهد الجديد، وفيها قام السيد المسيح علية السلام بعمل معجزتين الأولي تحويله الماء إلي خمر والثانية شفائه من مسافة بعيدة أبن الحاكم المريض John of Wurzburg: Description of the Holy Land.P.5. ، ويعتقد بعض الباحثين أن قرية كفر كنا الحديثة تقوم علي بقعة قانا الجليل، وهي تقع في الشمال الشرقي من الناصرة، وعلي بعد ستة كيلومترات منها.ا نظر مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين،ج٧،ق٢،ص٨٩، ص٩٤، ص٩٦.

(126) بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص٨٦.

(127) أن السبب الوحيد وراء ذلك هو أنه كان نتيجة للتدمير المتكرر للكنائس المبنية في هذه الأماكن، فقد تم رفع بقايا الهدم فوق التربة، ثم بعد أن سويت التربة، ومع الوقت تم بناء مباني أخري فوقها،أنظر، Aryeh Grabois: Op.Cit.,P.291

(128) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ، ص٨٦- ٨٧.

(129) أورد بوركهارد قصة التبليغ الملائكي للسيدة العذراء قائلاً: " وبعد التبليغ الملائكي من قبل الروح القدس، حملت السيدة مريم العذراء في رحمها السيد المسيح (عليه السلام) كما روي أيضاً

قصة إحضار الملاك جبرائيل أنباء الخلاص للعذراء المباركة قائلاً: " سلام أيتها المُنعم عليها! الرب معك، مباركة أنت بين النساء." إنجيل لوقا: آية ١: ٢٨)٠ وفي القرآن الكريم وردت آية الخلاص للسيدة مريم العذراء، حيث قال الله تعالي:"... قالت أني يكون لي غُلام ولم يمسسني بشرٌ ولم أكُ بغيا، قال كذلكِ قال ربُك هُو عليّ هينٌ ولنجعله آيَةً للناس ورحمةً منا وكانَ أمراً مقضيا..". مريم، آيه٢٠-٢١.

(130) بورشارد: المصدر السابق، ص٩٢-٩٣.

(131) يذكر بوركهارد أنه ما يزال موضع البيت التابع لسمعان المجذوم، حيث جلس معه السيد المسيح علي طاولة، وكذلك منزل مرثا ، حيث كان المسيح ينزل ضيفاً لديها، وقد حوّل هذا المنزل إلي كنيسة مخصصة لهما .أنظر: بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص١٢٤.

(132) قرية العزرية تقع علي حدود بيت المقدس، وقد أقيمت القرية علي احدي الروابي الواقعة جنوب شرق المدينة المقدسة. ذكرها الرحالة ثيودريش أنها محصنة بطبيعة الأرض، وقوة العمل الصالح.أنظر وصف الأراضي المقدسة في فلسطين،ص١٠٤. وفي العصر الصليبي أنشأت الملكة ميلسند ديراً في القرية عرف باسم دير بيثاني، أنظر مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢، ق٢، ص١٤٢-١٤٧، سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية،ص٢٣٣، حاشية(١).

(133) بورشارد: المصدر السابق، ص١٢٤، ١٢٥.

(134) الجسمانية تعني "معصرة الزيت" التي كانت وفق التقليد المسيحي في العهد الجديد

في البستان الذي صلى فيه يسوع المسيح صلاته الأخيرة قُبيل تسليمه للسنهدرين أولا ثم للرومان للصلب. أنظر: الأناجيل: متى ٢٦: ٣٦-٥٨؛ مرقس ١٤:٣٢ -٥٢؛ لوقا ٢٢: ٣٩-٥٤؛ يوحنا ١٨: ١-١٣.

(135) جُلجُثة: هي موضع يقع خارج القدس القديمة، يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح صلب عنده الجلجثة. انظر: الأناجيل متي: ٣٣ – ٢٧، مرقس: ٢٢ – ١٥، لوقا: ٣٣ – ٢٣، يوحنا: ١٧ – ١٩.

(136) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ،ص١٢٥-١٢٦.

(137) كنيسة القيامة (كنيسة القبر المقدس) تحتل المكانة الأولي بين جميع هذه الأماكن، ويصفها بأنها مستديرة الشكل يبلغ مقياس قطرها بين الأعمدة ثلاثة وسبعين قدماً، وفوق قبر السيد المسيح عليه السلام والواقع في منتصف الكنيسة توجد فتحة مستديرة، بحيث يقع السرداب المؤدي إلي القبر في الفراغ المفتوح .أنظر: بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص١٣٨.وأيضا انظر:

Charles Couasnon: The Church of The Holy Sepulcher In Jerusalem. (London, 1974),PP.17-20,

(138) كنيسة الجُلجُثة: وتقع إلي جانب كنيسة القيامة، وهي مستطيلة الشكل وتتصل بمذبح كنيسة القيامة (كنيسة القبر المقدس) لكنها منخفضة عنها قليلاً، لكن كلاهما يقع تحت طابق علوي واحد. أما أرضيه هذه الكنيسة الصغيرة قد سويت بالرخام من الداخل، كما غطيت جدرانها بالرخام أيضا، وزخرفت بأشغال الفسيفساء من الذهب الخالص. أنظر : Couasnon Ch. The Church of The Holy Sepulcher In Jerusalem. PP.50-52. John of Wurzburg: Description of the Holy Land.P.35.

(139) ذكر بوركهارد أن طول الكهف ثمانية أقدام، وعرضه يصل أيضا نحو ثمانية أقدام، والكهف مغطي بالرخام من الخارج، وهو عبارة عن صخرة مكشوفة من الداخل، كما كان عليه الحال وقت دفنه.(السيد المسيح) وقد شيد هذا القبر من الرخام الرمادي اللون، والقبر ممتد بطول ثمانية أقدام، وذكر أنه لا توجد نوافذ في هذا المكان لذلك تم تعليق تسعة أسرجه فوق القبر تعطي الضوء. أنظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص١٣٩ .

(140) نفسه، ص ١٥٩.

(141) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي، ص٨٥.

(142) احتوت بلاد الشام علي عددٍ كبيرٍ من الأنهار الحيوية، التي اختلفت من حيث امتدادها الجغرافي، وقد أجملها في حوالي ستة عشر نهراً، بدأها بنهر الفرات حتى نهر الليطاني، إضافة إلي أن هناك بحيرة طبرية، وبحيرة الحولة. إلي جانب العديد من العيون والينابيع وخاصة في الضفة الغربية لنهر الأردن، حيث مثلت جانباً مهما من مصادر المياه العذبة، إضافة إلي سقوط الأمطار الغزيرة والتي تغذي الأنهار والبحيرات والعيون سالفة الذكر، كما استفادت منها السهول الجبلية والساحلية في زراعة المحاصيل الزراعية والفواكه، والتي شكلت أهمية كبيرة بالنسبة للصليبيين.انظر:محمد مؤنس عوض:الحروب الصليبية (السياسة ــ المياه ــ العقيدة) عين للدراسات والبحوث الإنسانية (القاهرة٢٠٠١م) ص٧١-٧٢.

(143) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ٤١.

(144) يدعي هذا النبع باسم رأس العين، وهو يقع خارج حدود مدينة صور، ولكنه يكون قريبا منها من الناحية الجنوبية للمدينة.انظر: الترجمة العربية للرحلة، ص ٤٢، حاشية(١).

(145) المقصود هنا نهر قاديشاKsdisha River الذي يزود طرابلس بالمياه، كما إنه يزود منطقة الريف بكميات كبيرة من المياه، التي توصف بأنها مياه عذبه وصافيه، وقد أقيم علي ضفاف هذا النهر عديد من الكنائس.أنظر: بورشارد: المصدر السابق، ص ٥٢،حاشية (٢).

(146) جبل عكار: ويقع علي بعد فرسخ واحد من جبل لبنان وهو جبل مرتفع بعض الشيء ذو مظهر مستدير وعند سفحه من الناحية الشمالية رأيت كهفاً يوجد به مذبح، يرتفع أثني عشر قدما، ويحترم المسلمون ويوقرونه ويقومون بزيارته، ويقولون أنه قبر يوشع، والذي اعتقد أنه غير صحيح، ويقول أميل إلي اعتقاد أكثر صحة وهو أنه قبر كنعان بن حام ابن نوح أو لأحد من أحفاده.، انظر بوركهارد: المصدر السابق،ص٥٤.

(147) بورشارد: نفسه، ص ٥٢، هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي،ج١،ص١٨٩.

(148) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ،ص٤٨، ص٥٤-٥٥.

(149) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون، ص٨٢.

(150) بورشارد: المصدر السابق، ص ٣٩.

(151) سعيد البيشاوي:الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس،ص٢٩٣ - ٢٩٤.

(152) الشومر: هو من النباتات التي تنمو في فلسطين، ورائحته عطره، ويستعمل كغذاء مثل الجرجير والبقدونس، كما إنه يستعمل في علاج الالتهابات في الأغشية المخاطية

كالتهاب المعدة والأمعاء والتهابات الجهاز البولي. كذلك يفيد الشمر في إدرار الحليب، ويهدى السعال والسعال الديك ونوبات الربو. بورشارد:ص١٦٧،حاشية(٢).

(153) المريمية: sage من النباتات الطبية التي تنمو بكثرة في الأراضي الفلسطينية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلي السيدة مريم العذراء، لأنها أول من استعمله للعلاج. ويطلق سكان فلسطين علي هذا النبات اسم المرمية. وتمتاز أوراق نبتة المرتمية بأنها مرة المذاق ولونها أخضر. ويستعمل أهل فلسطين هذا النبات من أجل علاج الاضطرابات المعوية، و اضطرابات الدورة الدموية، كما أنها تعمل على تنظيم العادة الشهرية عند النساء، وتوصف المريمية لعلاج الكثير من الأمراض وخاصة الروماتزم والإسهال، والصداع النصفي وانحباس البول والتوتر العصبي وأحيانا الرجفة في اليدين وضعف الذاكرة عند الشيوخ، وارتفاع درجة الحرارة، هذا إلى جانب عدة فوائد أخرى. انظر: سعيد البيشاوى : الممتلكات الكنسية ، ص ٣٩٤ ،حاشية(١).

(154) السيذاب: نوع بري وبستاني، إلا أن البري أصغر ورقا وأحد رائحة ، ويطلق علية أسم الفيحن، والبستاني يزرع طول السنة . أنظر: سعيد البيشاوى: المرجع السابق، ص ٣٩٤.

(155) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ،ص١٦٨.

(156) المصدر السابق، ص١٦٨.

(157) **هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي، ج١،ص١٨٩.**

(158) ذكر بوركهارد أنه يتم تقطيع عود القصب إلي قطع صغيرة، بحيث تبلغ طول القطعة إصبع الإنسان، وذلك من أجل الحصول على عُقدة (عقله) في وسط كل قطعة،

حيث يوجد عديدٌ من العقد في (عود) قصب السكر. وبعد ذلك يقومون بغمر هذه القطع في أرض رطبه خلال فصل الربيع، وتنمو (من هذه العقد) قصبات جديدة، اثنتان من كل واحدة في كلا طرفي العقدة وهكذا تتم طريقة زراعة قصب السكر. أنظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص١٦٨-١٦٩.

(159) عن ذلك بالتفصيل أنظر: عبد الرحمن المغربي:"قصب السكر في فلسطين إبان السيطرة الفرنجية ٤٩٢ـــ٦٩٠هـــ/١٠٩٩ـــ١٢٩١م" مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، م (٢٠)عام٢٠٠٦م)،ص٧٣١،ص٧٦٣.

(160) بورشارد: المصدر السابق، ص٥٤، ص٥٥، ص٦٠، ص ٦٦.

(161) نفس المصدر، ص٩١.

(162) بورشارد: المصدر السابق،ص٥١- ٥٢.

(163)أطلق بوركهارد علي الموز اسم (فاكهة الجنة)، وذكرها بأنها فاكهة خالية من البذور، وتؤكل مباشرة بعد تقشيرها، وتحتاج هذه الثمار لأكثر من سنة لتنمو، وتعيش شجرة الموز سنتين في الغالب، وعندما تبدأ بالذبول تبدأ شجرة أخري بالتبرعم، أو النمو مباشرة من جذورها، وتقوم بنفس ما قامت به الشجرة السابقة، والشجرة طويلة بارتفاع رجل، أما أوراق هذه الشجرة فهي عريضة، بحيث يمكن للمرء تغطية كل جسده بورقتين منه ".انظر بوركهارد: المصدر السابق،ص١٦٩ .

(164) نفسه، ص١٦٩.

(165)محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي، ص٨٧.

(166)يوشع براور: الاستيطان الصليبي في مملكة بيت المقدس،ت. عبد الحافظ البنا،ط.القاهرة (٢٠٠١م)،ص٤٣١، ص٤٣٢.

(167) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص٤٢.

(168) نفسه، ص١٦٨.

(169)نفسه،ص١١٤. ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن طواحين السكر تقع علي بعد كيلو واحد من أريحا القديمة تل السلطان، سفح جبل القرنطل، وأن تاريخ تأسيسها يعود إلي سنة ١١١٦م، وأضاف أنها كانت تستعمل طوال فترة الحكم الصليبي لهذه المنطقة ولا يزال يوجد بالموقع ثلاثة طواحين.انظر سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية،ص٣٩٨،حاشية(٣).

(170) بورشارد: المصدر السابق،ص١٧١،١٦٩.

(171) الشملة: (الخملة) وهو نوع من القماش يصنع من الصوف أو الشعر يلقي علي الكتفين.أنظر، هايد: تاريخ التجارة،ج١،ص، ١٩٠ ، وذكر أيضا أن الشملة و كساء يُشتمل به أو يتغطي به، ويُتلفف فيه.انظر:ابن منظور: لسان العرب، مادة شمل. وذكر أيضا أنه ثوب من صوف كالكساء له خمل وهو غزل قد نسج وافضلت له فضول (زيادات) راجع المخصص لابن سيده، باب المخطط من الثياب (دار إحياء التراث العربي)الطبعة الأولي، تحقيق خليل إبراهيم جفال(بيروت١٩٩٦)، ج١،ص٣٩١ .

(172) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص٥١ .

(173)هايد:تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصورالوسطي،ج١،ص١٩٠ .

(174) عن طريق الحرير أنظر: أبو عساف: "طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم" مجلة دراسات تاريخية ـ جامعة دمشق السنة(١٢)، العددان٣٩، ٤٠، كانون الأول،١٩٩١م،ص٧٢ـص٨٢، عبد الرحمن حميده: طريق الحرير بين أبن بطوطة وماركوبولو، العدد المذكر،ص٨٣ ـ ص٩٥، محمد مؤنس عوض: الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية.ط.(القاهرة،١٩٩٥م)،ص٣٢١ـ ص٣٢٢، ساطع محلي: طريق الحرير ١٩٩١م" الطريق وسيله وصله حضارية بين الشعوب،العدد المذكور، ص٤٩ـ ص٧١، نعمان جبران: محاولات المغول السيطرة علي طريق الحرير(أسباب ونتائج) العدد المذكور،ص١٣٨ ـ ص١٥٥، أيرين فرانك، ديفيد براونستون: طريق الحرير،ت. أحمد محمود،ط. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة،(١٩٩٧م)، ص١٦.

(175) الثورة التجارية: ظهرت عندما ترسخ النظام الإقطاعي في الغرب الأوربي ، حيث ازدهرت الأوضاع الاقتصادية، ومع نجاح الصليبيين في احتلال العديد من مدن بلاد الشام، توسعت التجارة الايطالية في معظم موانى البحر المتوسط، الأمر الذي ربط الغرب الأوربي بالشرق الإسلامي، وعندما أطل القرن الثاني عشر الميلادي، ظهر في أوربا ما عرف بنهضة حضارية شملت العديد من نواحي الحياة في الغرب الأوربي، ومن بينها الثورة في المجال التجاري، فقد أزيلت القيود التي كانت تعطل التجارة الداخلية، وأصبحت الطرق آمنه لمرورها، وتم وضع نظام موحد للمقاييس والموازين، كما تم تحديد العوائد والمكوس التجارية المفروضة علي السلع،الأمر الذي أحدث ثورة في النشاط التجاري. للمزيد انظر: ول ديورانت: قصة الحضارة،(عصر الإيمان)، ترجمة محمد بدران،ط.القاهرة،(٢٠٠١م)، مجـ ٨، ج١٥، ص٧٠- ٧٣.

(176) حرص المغول علي تأمين طرق التجارة فعملوا علي تنمية المدن التي سبق لهم تدميرها، خاصة في تركستان وفارس حتي قيل أن طريق الحرير لم يشهد سلاماً من قبل مثل الذي شهده في القرن الثالث عشر علي طول المنطقة الممتدة من بلاد الصين وحتي حدودهم الغربية في الأراضي التي كانوا يسيطرون عليها في فارس.انظر: أيرين فرانك: طريق الحرير،ص٢٩٩.

(177)ذكر بوركهارد أن صناعة المخللات كانت قائمة في بلاد الشام علي بعض أنواع الفاكهة مثل البرتقال والليمون والزيتون وتفاح آدم، للأكل خاصة مع الدجاج والسمك وأطعمة أخري، وهي تجعل الطعام سائغا ولذيذ. أنظر : بورشارد: المصدر السابق، ص١٦٩.

(178) هايد: المرجع السابق،ج١،ص١٨٩.

(179) سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية،ص٣٨٧.

(180) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ،ص١٧٠.

(181) بوتروس: وهي مدينة تدعي اليوم باترون، وهي تقع شمال مدينة جبيل.انظر بورشارد: المصدر السابق، ص٥٠، حاشية(٥).

(182) بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص٥٠-٥١، هايد: تاريخ التجارة،ج١، ص١٨٩.

(183) بورشارد: المصدر السابق، ص ١٧٠.

(184) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي،ص٨٧، سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية في الأرض المقدسة، ص٤٣٤-٤٣٥.

(185) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص١٧١.

(186) بورشارد: المصدر السابق ، ص ١٧٤.

(187) وريد النيل: يعرف هذا الجدول أو الينبوع الآن باسم عين التعبجه **Ain et Tabjah**.ويقع عند سهل كفر ناحوم،انظر للترجمة العربية للرحلة،حاشية رقم (٢)، ص٧١.

(188) هي نوع من الأسماك الصغيرة وهي تسمية سوقيه انتشرت بين جميع العامة في منطقة البحر المتوسط كصفه لنوع من سمك البحر المعروف باسم الكافيار انظر: بوركهارد: المصدر السابق،ص٧١،حاشية رقم (٣). وعن الأسماك في ذلك العصر أنظر: موسي بن ميمون: شرح أسماء العقار، تحقيق ماكس ماير هوف،ط.القاهرة،١٩٣٩م)،ص٣٨، القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات،ط.القاهرة، ب .ت)، ص١٣٨، محمد مؤنس عوض: "**الأسماك في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية" ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية، بحوث ودراسات،ط. القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٠٥- ص١٣٧.**

(189) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ، ص٧١.

(190)ذكر بوركهارد أنه علي ساحل بحيرة طبرية، يوجد المكان الذي وقف علية السيد المسيح عند الشاطئ بعد بعثه، حيث قال لأتباعه الذين كانوا يصطادون" أيها الغلمان هل لديكم شيئاً للأكل". وعلي بعد عشر خطوات من هذا المكان، نزل أتباع السيد المسيح (عليه السلام) من السفينة ورأوا السمك (يشوي) علي النار المتقدة بالفحم، كما شاهدوا الخبز أيضا، ويطلق المسيحيون علي هذا المكان اسم المائدة.انظر: يوحنا: ٢١ ،١: ٩، بورشارد: نفسه ،ص٧١- ٧٢.

(191) نفسه، ص٧٢ .

(192)بورشارد: وصف الأرض المقدسة ،ص١٤٤،حاشية(١).

(193)القديس بندكت: ولد حوالي سنة ٤٨٠م ، في إقليم نورسيا Nurcie ،(سبعون ميلا شمال شرق روما) من أسرة ثرية، أرسله والديه إلي روما من أجل التعليم ، لكنه عندما رأي انتشار الرزيلة في المجتمع آنذاك قرر الانسحاب من هذا العالم، والتخلي عن ميراثه الضخم ، وصمم علي اعتناق الحياة الديرية، فتوجه إلي كهف سيباكو Subiaco ، حيث عاش حياة التقشف والانعزال. ويذكر عنه أنه كان كث الشعر حول صدره، وكان يرتدي لباس من جلد الحيوانات ، حتى ظن بعض الرعاة الذين يسكنون حول هذا الكهف أنه حيوان مفترس، فأرادوا قتله ، ولكن مع مرور الوقت تيقنوا شخصيته ، وكانوا أول من تبعوه ونشروا اسمه، حتى قدم الناس إليه ليأخذوا منه العظات ويلتمسوا منه البركات، وفي سنة ٥٢٩م، استقر به المقام في مكان بين روما ونابولي، حيث أقام أعلي جبل كاسينو Cassino علي أطلال معبد وثني ، شيد عليه دير عرف باسم " مونت كاسنيو" انظر:

St. Gregory: Life and miracles of St. Benedict, tran. By. Ono.J.Zimmermann, (Minnesota, 1949) P.2 Bettenson. H.: Documents of the Christian Church,(Oxford,1963),P.11

Cannon.W.:Histoire du Christianisme Au Mayen age, (Paris,1961) PP.19-20

(194) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي، ص٨٧.

(195) تعريف السراقنة:Saracen (المسلمون) أو السوريين وقصدوا به البدو الذين كانوا يعيشون منذ أزمان بعيدة علي أطراف المناطق المزروعة ما بين النهرين، وتعني الكلمة باليونانية ساكني الخيام، وقد أطلق المؤرخون والحجاج الصليبيون هذا اللفظ علي جميع المسلمين انظر : كليفورد بوزورث وجوزيف شاخت: تراث الإسلام، ترجمة

محمد زهير السمهوري وآخرون، عالم المعرفة(الكويت،١٩٧٨م)،ص٨٠،حاشية(١) ، إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام، ص ٥٥.

(196) يشير بورشارد إلي أن الديانة الإسلامية كانت مفهومة بصورة جيده في القرن الثالث عشر الميلادي بالمقارنة مع فهم الصليبيين لهذه الديانة عندما حضروا في البداية إلي فلسطين. بورشارد،المصدر السابق، ص ١٧٢،حاشية(٢).

(197) **يوحنا المعمدان John the Paptest: هو أحد رجال الدين من يهوذا، عاصر المرحلة الأولي التي سبقت ظهور السيد المسيح مباشرة، وكان والده يدعي زكريا، وكانت تعاليمه ذات أثر كبير علي المعاصرين، وقد قتل علي يد هيرودس. عنه أنظر: Hastings: Dictionary of the Bible, (New York,1963)PP., 309 – 312.، سامي سعد الأحمد: تاريخ فلسطين القديم،ط. (بغداد، ١٩٧٩م)، ص٣٧١ ، ص٣٧٢.**

(198) سبسطية: دعيت بالسامرة نسبة إلي تل شمر التي شيدت عليه المدينة،أنظر وليم الصوري: الحروب الصليبية،ج٢،ص٨٢ .

(199)بورشارد: وصف الأرض المقدسة،ص١٠٤.

(200)ذكر بوركهارد العديد من صور تبجيل وتقدير المسلمين للسيد المسيح والسيدة العذراء، فقد ذكر أنهم يؤمنون بصدق أن المسيح هو كلمة الله، ولكنهم يقولون أنه ليس الله، ويقولون أن العذراء قد تسلمت الروح المقدسة، وقد حملت به وهي عذراء. انظر: بورشارد: نفسه،ص١٠٤.

(201) أخطأ بوركهارد عندما ذكر أن الرسول محمد صلي الله عليه وسلم قد أرسل للمسلمين فقط، لأن الرسول الأعظم بعث لجميع الأمم، وكانت رسالته عامه بدليل قول الله تعالي " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا" سبأ آية ٢٨، وقال تعالي " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" الأنبياء: آية١٠٧.

(202) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ،ص١٠٤ .

(203) يشير بروركهارد إلي تعدد الزوجات، ويبدوا أنه لم يفهم أهمية هذه الناحية في التشريع الإسلامي، وذلك لأن الإسلام تحدث عن ضرورات التعدد الشخصية: كأن تكون الزوجة عقيمة، أو مصابة بمرض مزمن أو معد أو منفر، وربما يكون الزوج كثير الرحلات وليس باستطاعته أن ترافقه زوجته وأولاده معه، ويخشى أن يقع في الفاحشة فيتزوج زوجة شرعية. أنظر: عبد الله ناصح علوان: تعدد الزوجات في الإسلام، وحكمة تعدد زوجات النبي صلي الله عليه وسلم، دار السلام طبعة١(القاهرة بدون تاريخ)،ص١٣ وما بعدها، كرم حلمي فرحات أحمد : تعدد الزوجات في الأديان، دار الوفاق العربية، طبعة١(القاهرة،٢٠٠٢م) ص٢٠-٢٥. وتجد الإشارة إلي انه تم حذف بعض العبارات التي لا تليق بالمسلمين.عن طريق د سعيد البيشاوي مترجم الرحلة .انظر ص١٧٢، حاشية(٣).

(204) انظر: محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي، ص٨٨.

(205) دير كولوني Cluny : بجنوب فرنسا والذي أسسه وليم التقي William of Auvergne في الحادي عشر من سبتمبر ٩١٠م، ليكون مكاناً للعبادة، واستقبال الحجاج والفقراء والمرضي، وعين القديس برنون رئيساً له. (أنظر: Bredero.HA: Cluny et Citeaux Au Douzieme,P.1, Anne Boud: Cluny un grand Chantier medieval au Coeur L`Europe,P.29. فقد قامت القاعدة الديرية الكولونية علي أسس وقواعد أهمها: تحرير الأديرة من كل سلطة علمانية متسلطة. ارتباط مقدم الدير الكولوني بالبابوية مباشرة. ثم

خضوع جميع الأديرة الكلونية إلي دير مركزي واحد مركزه دير كلوني، وهذا الدير يكون مطلق السلطة علي كل الأديرة التابعة له، وبهذا أصبح مقدم دير كلوني أباً لجميع الأديرة الفرعية الملحقة به، وهو يخضع سلسطة البابا مباشرة. انظر: Cowderey.H.: The Clunians and Gregorian Reform (Oxford, 1970)., P.3.

(206) يعد بطرس الفيرابليPeter The Venerable هو رئيس دير كلوني Cluny بفرنسا وقد قام برحلة إلي اسبانيا فيما بين ١١٤١، ١١٤٣م، وشكل لجنة بمساعدة ريمون التطيلي لترجمة القرآن الكريم إلي اللغة اللاتينية، وبوفاته سنة ١١٥٧م انتهت قائمة رؤساء الأديرة الصالحين. عنه انظر: Peter The Venerable: The Letters of Peter The Venerable, ed. By Giles Constable,(Cambridge,1967), Raymond Oursel: Le Secret de Cluny.,P. 251-253,Leclerq: Pierre Le Venerable,(Paris,1946),P.23, Southern: Western Views of Islam in the middle Ages ,(Cambridge,1962),P. 38.، عفاف شكري: " حول ترجمة معاني القرآن الكريم" مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية،العدد(٤٢)،ط. الكويت،٢٠٠٠م، ص٢٨، محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية السياسة ــ المياه ــ العقيدة، ص٩٦، ص١١١.

(207) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي، ص٨٨.

(208) محمد مؤنس: المرجع السابق، ص٨٨.

(209) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(210) بورشارد: وصف الأراضي المقدسة ،ص ٢٧-٢٨.

(211) نفسه،ص١٧٣.

(212) Aryeh Grabois:, Op.Cit.,P.295 .

(213) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص٤٦، حاشية(١).

(214) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي، ص٨٤.

(215) Aryeh Grabois:" Christian Pilgrims in the Thirteenth century...".P.293

(216) بورشارد: المصدر السابق، ص١٧١-١٧٢.

(217) Aryeh Grabois:, Op.Cit.,P.294.

(218) محمد مؤنس عوض:الحروب الصليبية، دراسات في التاريخ المقارن، ص٢١٩.

(219) Aryeh Grabois: " Christian Pilgrims in the Thirteenth century .,PP294-295

(220) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن،ص٨٤ .

(221) أشار بوركهارد علي بعض الطوائف الدينية المسيحية التي كانت تستقر في مدينة طرابلس بينما لم يشر إلي بقية الطوائف، واكتفي بالإشارة إلي وجود جماعات أخري كانت تقيم في المدينة، واعتقد أنه لم يكن موفقا في وصفه لأنه قسم السكان حسب طوائفهم واعتقاداتهم وكان الأجدر به أن يصنف السكان حسب أجناسهم كأن يقول ويقطن المدينة أجناسا من العرب أو العجم أو البربر وغيرهم انظر : وصف الأرض المقدسة،ص٥١،(حاشية(٢).

(222) بذل الباباوات في روما جهودا كبيرة في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر من أجل التوفيق بين الطوائف الشرقية وعلي وجه التخصيص في القرن الثالث عشر من أجل ضم الأرمن للمذهب الكاثوليكي، لكن عددا ليس قليلا تحول باستثناء الموارنة انظر: بورشارد: المصدر نفسه، ص١٧٤، حاشية(١).

(223) بورشارد: المصدر السابق، ص٦٦. Aryeh Grabois: " Op.Cit.,P.295

(224) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص١٧٣.

(225) عقد في مدينة ليون سنة ١٢٧٤م، ولهذا فإن بورشارد يجب إن يكون قد دون رحلته بعد هذا التاريخ.انظر: وصف الأرض المقدسة، ص ١٧٣، حاشية(١).

(226) بورشارد: نفس المصدر، ص١٧٣.

(227) أقام هؤلاء في المنطقة الممتدة بين مصر والحجاز ما بين شبه جزيرة سيناء وشمال الحجاز والصحراء الفلسطينية حتى البحر الميت ووصل بعضهم إلي منطقة طبرية. وقد اختلطوا بالكنعانيين واقتبسوا عادتهم، وهم الذين سحبوا يوسف بن يعقوب (عليهما السلام) من البئر وباعوه لقافلة تجارية كانت قادمة من بلاد عجلون. وقد عمل هؤلاء بالرعي والزراعة، وهم الذين أدخلوا الجمل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد إلي فلسطين واستعملوه في الانتقال والغزو. أنظر:بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص١٧٤،حاشية(٢).

(228) بورشارد: وصف الأراضي المقدسة ، ص ١٧٤ .

(229) النصيرية: هي فرقة شيعية متطرفة، كانت تؤله الأمام علي بن أبي طالب، وتُعد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي الذي اغتاله لأنه بقتله فصل اللاهوت عن الناسوت في شخص الإمام ، وقد نظر المؤرخين المسلمين في العصور الوسطي للنصيرية علي أنهم كفار خارجين علي الإسلام. عنهم انظر: الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق محمد النشار،ط.بيروت،١٩٨٢م،ص٦١، سليمان الحلبي: طائفة النصيرية،ط.(القاهرة،١٩٨٢)، الحسيني عبد الله: الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، ط.(القاهرة،١٩٨٠م) ص٢٧- ص٦٥، Dussaud: Histoire de Religion des Nusairis,(Paris,1900),P. 20-26

(230) هو شيخ الإسماعيلية النزارية، الذي يعرف بشيخ الحشاشين ، وقد تعاقب على هذا المنصب مجموعة من الشخصيات القوية من أمثال الحسن الصباح ـ مؤسس حركة الحشاشين والذي يعتبر من أكبر المؤيدين للطائفة النزارية ـ وراشد الدين سنان الذي ارتفع في عهده شأن حركة الحشاشين في بلاد الشام. وفي عهد راشد الدين سنان حاول الحشاشون القضاء علي صلاح الدين الأيوبي، وقاموا بمحاولتين لاغتياله، ومن حسن الحظ أن المحاولتين فشلتا. وقد جرت مفاوضات بين صلاح الدين الأيوبي وبين راشد الدين سنان شيخ الجبل بطلب من الأخير، وقد نجحت المفاوضات، وانتهت بعقد معاهدة ومصالحة بين الطرفين، وتم القضاء عليهم علي يد الظاهر بيبرس سنة١٢٧٣م.عن الإسماعيلية وأخبارهم أنظر :ابن الأثير: الكامل في التاريخ،مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية،ط٤(بيروت،٢٠٠٣م)،ج٩،ص٣٦- ٤٣ ،أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد أحمد حلمي (القاهرة١٩٦٢م)،ج١، ص٦٠٧-٦١١، أبن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان (دمشق ،١٩٤٥ م) ، ج٢،ص١٤٧،١٤٥، ١٥٣، عثمان عبد الحميد عشري: الإسماعيليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية(٤٩١ـ٦٩١هـ/١٠٩٧ـ١٢٩٠م) رسالة دكتوراه غير منشوره بكلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٠، ٢١ وما بعدها.

(231) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ،ص١٧٤-١٧٥.

قائمة المصادر والمراجع العربية والمعربة

أولاً: المصادر العربية:

ـ القرآن الكريم.

ـ الكتاب المقدس.

ابن الأثير (ت ١٢٣٢م/٦٣٠هـ) عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري:

ـ الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية،ط٤(بيروت،٢٠٠٣م).

ابن جبير (ت ١٢١٩م/٦١٦هـ) محمد بن أحمد المعروف بابن جبير:

ـ رحلة ابن جبير، الهيئة العامة لقصور الثقافة(القاهرة،١٩٩٨م)

الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،(روما،١٩٧٦م).

ابن سيده، المخصص، ج١،(دار إحياء التراث العربي)ط١، تحقيق خليل إبراهيم جفال(بيروت١٩٩٦)

الشابشتي: الديارات، تحقيق كوركيس عواد،ط.(بغداد،١٩٥١م).

أبو شامة(ت ١٢٦٨م/٦٦٥هـ) أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي:

ـ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج١،تحقيق محمد أحمد حلمي(القاهرة١٩٦٢م).

الاصطخري (ت القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري)أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي:

ـ المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدا لعال، (القاهرة ٢٠٠٤).

أبن العديم: (ت ١٢٦٢م/٦٦٠هـ) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبةالله:

ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج٢، تحقيق سامي الدهان(دمشق،١٩٤٥م).

ابن عساكر: (ت ١٢٢٣م/٥٧١هـ):أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله:

ـ تاريخ مدينة دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد،ط.(دمشق،١٩٥٥م).

القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات،ط.القاهرة، ب .ت).

المقدسي (ت القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري) شمي الدين أبو عبد الله البشاري:

ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، (ليدن، ١٩٠٦م).

ناصر خسرو (ت: ١٠٦١م/٤٥٣هـ) أبو معين الدين العلوي:

ـ سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب، الطبعة الثالثة،(القاهرة،١٩٩٣م).

ياقوت الحموي (ت: ١٢٢٨م/ ٦٢٦هـ)أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي:

ـ معجم البلدان، (بيروت، ١٩٧٧م).يوسابيوس القيصري:(:ت : ٣٤٠م):

ـ تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقص داود، مكتبة المحبة،الطبعة ٣،(القاهرة،١٩٩٨م).

ثانياً: المصادر الأجنبية والمترجمة:

Anonymous:

The Deeds of the Franks and the other pilgrims to Jerusalem,Trans.by R.Hill,London,1962

Daniel:

The pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land, Trans. By Wilson .,P.P.T.S., Vol.,IV ,(London,1895

Hume :

,Medical Work of the knights Hospitallers of Saint ,Institute of the History of Medicine of the John Hopkins University,Baltimore1940.

John of Wurzburg:

Description of the Holy Land .Tran. by Stewart A (London 1890)

St. Gregory :

Life and miracles of St. Benedict, tran. By Ono.J.Zimmermann, (Minnesota,1949).

Fulcher of Chartres:

History of the expedition to Jerusalem,Trans. By Francise Rita Rian, Tennesse,1969,

Peter The Venerable:

The Letters of Peter The Venerable,ed. By Giles Constable,(Cambridge,1967)

William of Tyre:

History of deeds done beyond the Sea,Trans.by Babcock and Krey,Vol.II,New York,1 943

بورشارد من دير جبل صهيون: (ت:١٢٨٣م):
وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد عبدا لله البيشاوي، طبعة أولي،(عمان،١٩٩٥م)
التطيلي الأندلسي (ت ١٣٤٨م/٥٨٩هـ) بنيامين بن يون
ـــــــــ رحلة بنيامين، ترجمة عزار حداد،الطبعة الأولي،(بغداد،١٩٤٥م).
ثيودريش(ت:١١٧٣م):
ـــــــــ وصف الأماكن المقدسة في فلسطين،ت. سعيد عبد الله البيشاوي، رياض شاهين، ط الشروق ـ عمان (٢٠٠٣م). دانيال الراهب(ق١٢م):
ـــــــــ رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الأراضي المقدسة، ت. سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة،ط١، (عمان١٩٩٢م).
جاك دي فتري: عن لغتها اللاتينية، دراسة وثائقية في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ١٢٠٠ ـ١٢٤٠م.ت.عبد اللطيف عبد الهادي السيد،ط. الإسكندرية، ٢٠٠٥م.
وليم الصوري (١١٨٤م):
الحروب الصليبية، ج٢، ترجمة حسن حبشي، الهيئة العامة للكتاب، (القاهرة١٩٩٦)
يعقوب الفتري(١٢٤٠م):
تاريخ بيت المقدس، ت. سعيد البيشاوي،ط١، دارالشروق(عمان،١٩٩٨م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Aryeh Grabois:

"Christian Pilgrims in the Thirteenth Century and the Latin Kingdom of Jerusalem: Burchord of Mount Sion. In Joshua Prawer: Outremer, studies in the history of Crusading kingdom of Jerusalem. (Jerusalem, 1982). Bernard Lewis:

"The Ismailites and assassins" In Setton: A History of the Crusades, Vol., I, (Pensivenia, 1958).

Bettenson.H.

Documents of Church, 2nd Edition, (Oxford, 1963).

Bredero .H.A:

Cluny et Citeaux Au Douzieme Siecle, (Paris, 1985).

Boud.A.

Cluny un grand Chantier medieval au Coeur de L`Europe,(Paris 2004).

Byren,(E.H.): Genoese Trade with Syria in the Twelfth Century, In, R., Vol. XXV,(192o)سA.H.

Cannon.W.

Histoire du Christianisme Au Mayen age, (Paris, 1961).

Couasnon. Ch.:

The Church of the Holy Sepulchre in Jerusalem. Trans. By J.P.B. and Cloude Ross (London,1974)

Cowderey .H. E.D:

The Cluniacs and the Gregorian Reform, (Oxford, 1970).

Deanesly.M.,:

A History of the Medieval Church. (Cambridge, 1978).

Dussaud:

Histoire de Religion des Nusairis, (Paris, 1900).

Hastings:

Dictionary of the Bible, (New York, 1963).

Leclerq:

Pierre Le Venerable,(Paris,1946)

Raymond Oursel:

Le Secret de Cluny., Paris, 1995).

Robbert,(L.B): Venice and the Crusades". In Setton: History of the Crusades, Vol.V,(Winsconsin,1985

Smith (J. R.) : The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem (1174 – 1277), (London,1974).

Southern:

Western Views of Islam in the Middle Ages, (Cambridge, 1962).

Thompson,(J.W): Economic and Social History of the middle ages (300 – 1300),Vol,I,(New York,1949),

WWW. Wikipedia.org.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

إبراهيم خميس(دكتور): دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية) ط.(الإسكندرية،٢٠٠٢م).

إحسان عباس(دكتور): تاريخ بلاد الشام من فترة ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي، (عمان ١٩٩٠م).

----------: تاريخ دولة الأنباط، الطبعة الأولي(عمان١٩٨٧م).

الحسيني عبد الله (دكتور): الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، ط.(القاهرة، ١٩٨٠م).

أسد رستم: عصر أوغوسطوس قيصر وخلفائه (٤٤ق.م ــ ٦٩م) (بيروت، ١٩٦٥م).

أيرين فرانك، ديفيد براونستون: طريق الحرير،ت. أحمد محمود،ط. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة،(١٩٩٧م)،

السيد عبد العزيز سالم(دكتور): تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، م شباب الجامعة، (إسكندرية، ١٩٨٦م).جوزيف نسيم يوسف(دكتور): تاريخ العصور الوسطي الأوربية وحضارتها،(إسكندرية١٩٨٨م).

جونثان ريلي سميث: الاسبتارية،فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص(١٠٥٠-١٣١٠م) ترجمة صبحي الجابي(دمشق،١٩٨٤م) .

جيرار ديجورج: دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلي الدولة المملوكية،ترجمة محمد رفعت عواد، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة،٢٠٠٥م) .

حسن عبد الوهاب(دكتور): تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، ١١٩٠ـ١٢٩١م/٥٨٦ـ٦٩٠هـ،ط.(الإسكندرية، ١٩٩٠م).

ـــــــ: تاريخ قيسارية الشام في التاريخ الإسلامي،ط.(الإسكندرية، ١٩٩٠م).

حسنين محمد ربيع(دكتور): دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،دار النهضة العربية،(القاهرة،١٩٨٣م).

حنا جرجس الخضري(القس): تاريخ الفكر المسيحي، مجلد١، دار الثقافة(القاهرة،١٩٨١م).

دونالد. ر. دولي: حضارة روما، ترجمة جميل الذهبي وفاروق فريد، (القاهرة، ١٩٧٩م).

رأفت عبد الحميد (دكتور): الدولة والكنيسة، ج٢، طبعة دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٢م).

رانسيمان (ستيفن): الحضارة البيزنطية،ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد،(القاهرة١٩٦١).

ـــــــ:تاريخ الحملات الصليبية،ج٢،ترجمة نور الدين خليل،(القاهرة،١٩٩٧م).

سامي سعد الأحمد (دكتور): تاريخ فلسطين القديم،ط. (بغداد، ١٩٧٩م).

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): أوربا العصور الوسطي، ج٢ النظم والحضارة(القاهرة، ١٩٥٩م).

ـــــــ:الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، طبعة ١، النهضة العربية (القاهرة، ١٩٦٣).

ـــــــ: الحركة الصليبية، ج٢، طبعة الرابعة، (القاهرة، ١٩٨٦).

سعيد عبد الله البيشاوي(دكتور): الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية،ط١ (إسكندرية١٩٩٠).

ـــــــ: نابلس " الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية" طبعة أولي،(عمان،١٩٩١م).

سليمان الحلبي (دكتور): طائفة النصيرية،ط.(القاهرة،١٩٨٢).

صلاح الدين المنجد (دكتور): مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين،ط.(بيروت،١٩٦٢م).

طه قلجي الطراونة (دكتور): تاريخ مملكة صفد في عهد المماليك.ط.(بيروت،١٩٨١م) .

عبد الحميد زايد (دكتور): القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٧٤م).

عبد الرحمن المغربي (دكتور):"قصب السكر في فلسطين إبان السيطرة الفرنجية ٤٩٢ـ٦٩٠هـ/١٠٩٩ـ١٢٩١م" مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)م (٢٠)عام٢٠٠٦م).

عبد الرحمن حميده (دكتور): طريق الحرير بين أبن بطوطة وماركوبولو مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق السنة(١٢)، العددان٣٩، ٤٠، كانون الأول،١٩٩١م

عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، دار الجيل (بيروت، بدون تاريخ).

عثمان عبد الحميد عشري (دكتور): الإسماعيليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية (٤٩١ـ٦٩١هـ/١٠٩٧ـ١٢٩٠م) رسالة دكتوراه غير منشوره بكلية آداب جامعة القاهرة، ١٩٧٥م).

أبو عساف: "طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم" مجلة دراسات تاريخية ـ جامعة دمشق السنة(١٢)، العددان٣٩، ٤٠، كانون الأول،١٩٩١م.

عفاف شكري (دكتور): " حول ترجمة معاني القرآن الكريم" مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد(٤٢)، ط. (الكويت، ٢٠٠٠م).

عمر كمال توفيق (دكتور): مملكة بيت المقدس الصليبية، طبعة أولي، (أسكندرية، ١٩٥٨م).

لي سترانج : فلسطين في العهد الإسلامي،ترجمة محمود عمايري،طبعة أولي(عمان،١٩٧٠م).

فون باجوت جلوب: اليهود واليهودية في العصور القديمة، ت رشاد الشامي،(القاهرة،٢٠٠١م).

كرم حلمي فرحات أحمد (دكتور): تعدد الزوجات في الأديان، دار الوفاق العربية، ط.١(القاهرة، ٢٠٠٢م).

كليفورد بوزورث وجوزيف شاخت: تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهوري وآخرون، عالم المعرفة(الكويت،١٩٧٨م).

محمد فوزي رحيل (دكتور): نهاية الصلبيين " مملكة عكا الصليبية " دراسة لعوامل الانهيار والسقوط، عين للدراسات والبحوث، (القاهرة، ٢٠٠٩م).

محمد محمد مرسي الشيخ (دكتور): النظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطي(أسكندرية١٩٩٦م).

محمد مؤنس عوض (دكتور):الحروب الصليبية (السياسة ــ المياه ــ العقيدة) عين للدراسات والبحوث الإنسانية (القاهرة٢٠٠١م).

[illegible]: الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية.ط.(القاهرة، ١٩٩٥م).

====: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب(العصور الوسطي)،ط.القاهرة٢٠٠٣م.

[illegible]: الرحالة الأوربيون في العصور الوسطي، ط ١، العين للدراسات والبحوث، (القاهرة، ٢٠٠٤م).

====: "الأسماك في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية" ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية، بحوث ودراسات، ط.١(القاهرة، ٢٠٠٥م).

[illegible]: الحروب الصليبية، دراسات في التاريخ المقارن، طبعة ١ (القاهرة، ٢٠١٠م).

محمود محمد الحويري(دكتور): الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٧٩م).

[illegible]: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨١م).

مصطفي مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج١: ج٧ (بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤م).

نبيلة إبراهيم مقامي (دكتور): فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، طبعة جامعة القاهرة، (القاهرة، ١٩٩٤م).

نعمان جبران(دكتور) : محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير(أسباب ونتائج) مجلة دراسات تاريخية ــ جامعة دمشق السنة(١٢)، العددان٣٩، ٤٠، كانون الأول،١٩٩١م

نقولا زيادة: رواد الشرق العربي في العصور الوسطي، طبعة بيروت،١٩٨٦م

هابيل فهمي عبد الملك (دكتور): أورشليم "القدس" منذ أقدم العصور وحتى بداية العصر الروماني "بحث منشور في الندوة الدولية التي عقدت بمركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط تحت عنوان" القدس التاريخ والمستقبل" (أكتوبر،١٩٩٦م) .

هايد . ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي، ج١، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة عز الدين فوده، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة١٩٨٥م).

ول. ديورانت: قصة الحضارة،ترجمة محمد بدران، ط.القاهرة، (٢٠٠١م) مج ٨، ج١٥.

يوشع براور :الاستيطان الصليبي في مملكة بيت المقدس، ت.عبد الحافظ البنا،(القاهرة،٢٠٠١م).

بلاد الشام في القرن الثالث عشر الميلادي
نقلاً عن: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص ٢٦٦.